الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية

بنية التعجيب في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة: 87

د. خديجة محمد الصافي

بنية التعجيب في القرآن الكريم

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

رئاسة الجمهُوريّة

المجَلِس الأَعْلَى للِّغة العربيّة

بنية التّعجيب في القرآن الكريم

الدّكتورة

خديجة محمّد الصّافي

تصميم وإنجاز منشورات كل يك للنشر

ردمك: 978-9931-681-50-2

منشورات المجلس 2020

مقدمة: تتكيّف اللغة العربيّة كغيرها من اللّغات مع مقتّضيات الأحوال؛ فلا ينشأ كلام إلا وقد رُوعي فيه حال كلّ من المخاطَب والمخاطِب من حيث معرفتهما بقواعد اللغة وبالظّروف الاجتماعيّة والثّقافيّة المشتركة، ومن حيث إلمامهما بالمعارف وبعلم المنطق أيضا، فلا يُعقل أن يُنقل لطفل صغير – مثلا– خبرٌ عن ظلم زيد لخالدّ بقولنا: (أكلّ زيد خالدّا) ولم تؤسّس عنده قبلُ القاعد ة المنطقيّة؛ فالزّمن والمقامات المختلفة كفيلان بأن يتعزّز بناء هذه الآلية عند الطّفل، ليدرك بعد أنّ ينضج فكره أنّ المقصود بالأكلّ في قولنا السّابق الظّلم عن طريق المجاز.

ويُلاحظ مما تقدّم أنّ من شروط التّواصل الأمثل بين الأفراد وجوب توافر وتضافر كلّ المعطيات السّابقة (اللغة، المعارف، الثّقافة، المنطق) ولربّما يبدو جليا لمستعمل اللغة أنّ تلكم القوالب ضرورية لتفسير التّراكيب المنزاحة عن أصل دلالتّها خاصّة؛ فالتّعجّب – مثلا– من الأساليب العربيّة ذات القوالب القارّة (ما أفعله! وأفعل به!) فإذا علمنا أنّ التّعجّب في نحو قوله تعالى: ﴿فجِ فح فخ فمً [البقرة: 175]، صادر عن الذّات الإلهيّة، ولأنّه لا يجوز أن نعجب من أفعال الله لأنّها لا تُقابل بأفعال البشر[1]، فإنّه لا يُعقل أيضا أن يصدر هذا الفعل من الله؛ بأن يعجب من حال الكفار وهو–سبحانه وتعالى– أعلم بها؛ لهذا يُدرك أنّ هذا الأسلوب ليس بتعجّب لأنّ المتكلّم (المخاطِب) وهو الله، لم تنفعل نفسه –عزّ وجل– مع الموقف، بل هو

---

1. أمّا عن التّعجّب من صفات الله تعالى، فلا يجوز قياسا أن نقول: "ما أعلم الله!" أو"ما أعذّ له!" أو"ما أعظمه" فهذه الصّفات لا تقبل الزّيادة، وقد سُمع عن العرب قصدا للثّناء على الله قولهم: "ما أعظم الله وما أقدره وما أجله"، والمعنى: ما أعظم الله أنّه تعالى في غاية العظمة وأنّ عظمته مما تحار فيه العقول. ويُنظر: حاشية الصّبان على شرح الأشموني لألفيّة ابن مالك، علي الصّبان الشّافعي: 3/ 22، ويُنظر معترك الأقران في إعجاز القرآن: 1/ 322.

أسلوب آخر متفرِّع عنه، الهدف منه إخضاع نفس المخاطَب إلى حالة شعورية تُلزمه بالتّدبّر؛ فيخرج منها بموعظة تحسّن من حاله في الدّارين، فيأتي الكلّام إمّا مُشوِّقا وإما مُتوعدًا متوسِّلا بأسلوب وُسم ههنا بـــ (التّعجيب). ويظهر في الآية الكريمة أيضا أنّ التّعجيب قد اشترك مع التّعجّب في صيغة (ما أفعله!) لهذا نجد أنفسنا في هذا البحثّ نُقابل التّعجيب بالتّعجّب في صيّغه وأغراضه وبناه، وذلك من أجل وضع الحدود الدّقيقة بين مصطلحين ترددا كثيراً في تراثنا بمصادره المختلّفة، غير أنّه لم يحظ بدراسة خاصة توضِّح بُنى التّعجيب موضوع الدّراسة، كما أنّ المصطلح قديما قد لوحظ فيه خلط بين التّعجّب والتّعجيب كما سيأتي بيانه.

ومع أنّ التّعجّب قد دُرّست بناه بشرح وافٍ في الكتب النّحويّة وإن كان فيه نظر، إلاّ أنّ ما وُصف منه بالتّعجّب البلاغيّ (بأساليب خبريّة وإنشائيّة) لم يجد مكانا في الدّراسة النّحويّة؛ ذلك أنّ النّحو وقتئذٍ قد اعتنى بالجملة ولم يتجاوزها إلى النّصِّ ولا إلى ما وراء الجملة، ولأنّ منهجنا في هذا البحثّ يستند على تحليل الخطاب اعتمادا على نحو النّص أو ما يُعرف بالنّحو الوظيفيّ، وجب علينا الإشارة إلى مفهوم البنيّة في هذا النّحو أوّلا، ثمّ مفهوم التّعجيب ثانيا حتى نحصر بُنى التّعجيب في القرآن وظيفيّا (تداولا).

1-مفهوم البنية Structure: تترادف البنيّة مع مفهوم التّركيب والنّظام في سياقات كثيرة من بحوث اللغويّين المحدثين، وربّما كانت نظرية النّظم عند الجرجاني أو ما يُعرف في علم اللغة النّظاميّ بالوظيفة النّصيّة **textual function**[2]، هي الوظيفة الأساس التي يتفنّن فيها المتكلّم في بناء النّصوص؛ بالرّبط بين أجزاء النّص الواحد استعانة بقواعدمحدّدة

2. Ibid.p.143، عن علم اللغة النّظاميّ، مدخل إلى النّظريّة اللغويةّ عند هاليداي، محمود نحلة، ط2، ملتقى الفكر، 2001:53.

في اللغة، في إنشاء علاقات سياقيّة متعددة، هذا النّظام يميِّز بين أشكاله السّامع/ المتلقي للخطاب عامّة لاشتراكه مع المتكلّم في تلكم القواعد.

وفي الدّرس الحديث حدّد **(هاليداي/ Halliaday)** مفهوم النّظام System عندما عرّف النّحو بأنّه هو ذلك المستوى من الشّكلّ اللغويّ الذي يقوم على أنظمة مغلقة[3] ويُقصد بالأنظمة المغلقة المحصورة بالعدد من حيث العناصر؛ فلا تزيد ولا تنقص، كما أنّه وجب اختلاف تلكم العناصر في النّص الواحد من حيث الدّلالة حتى ينشأ نصّ مختلف عن غيره. فالنّظام شبكة من العلاقات تقوم أساسا على اختيار معان، ويبقى دور السّياق واضحا في توجيه تلكم المعاني وتحديدها بدّقة، لهذا منح **(هاليداي/ Halliaday)** لسياق الحالّ وظيفة قارّة في تحقّيق التّواصل بعد أن طوّر مفهومه عما قدّمه فيرث ومالينوفسكي، فجاء بمفهوم التّنبّؤ عندما لاحظ أنّ النّاس قد يفهم بعضهم بعضا رغم وجود الضّوضاء وذلك بمعرفة مجال الكلّام (موضوع النّص) ونوع المشاركة (العلاقة بين المشاركين) والصّيغة (الوسيلة منطوقة كانت/ مكتوبة أم هما معا)[4]. ويرى علم اللغة النّظامي أنّ اللغة شكلّ من أشكال الفعل[5] يتجلّى هذا في تراكيب متباينة تباين عناصرها اللغويّة من جانب وتوّزيعاتها من جانب آخر، من هذه الأشكال نجد التّعجيب.

2-مفهوم التّعجيب: لغةً هو من الفعل عجّب، و(عَجَّبَه بالشّيءِ تَعْجِـيباً: نَبَّهَهُ على التّعجّب منه)[6] يلتقي هذا المصـــــدر في جذره مع (التّعجّب) وهو مصدر

---

3. Halliaday.M.A.K (161) in ,Kress.G(ed)1976 P.94، عن علم اللغة النّظامي، 103.
4. Halliaday.M.A.K and Hasan R.(190) P.9، عن علم اللغة النّظاميّ: 61-62.
5. علم اللغة النّظامي: 73.
6. لسان العرب، ابن منظور: مادة (ع، ج، ب).

للفعل (تعجّب) الموزون على (تفعّل) وهو: (إنكارُ ما يَرِدُ عليك لقِلَّةِ اعْتِيادِه...؛ (فـ) التّعجّب: أَن تَرَى الشّيءَ يُعْجِبُكَ، تَظُنُّ أَنك لم تَرَ مِثْلَه).[7] فإذا كان التّعجّب من حيث الاصطلاح قد عرّفه (**الدّماميني**) بقوله: (انفعال يحدث في النّفس عند الشّعور بأمر يُجهل سببه)[8]، فإنّ التّعجيب–على زنة (تفعيل)– يحمل هذا الوزن ضمنا صفة الإخضاع للفعل، فالفعل (عجّب) بتضعيف عين الفعل، فيه من تكّرار الفعل ما يؤّول بمعنى (التّعجيب) إلى إخضاع نفس الآخر للاندهاش من أمر ما، والاستغراب والتّعجيب مقترنان دائما، وقد ورد هذا المصطلح في أمّهات الكتب بالدّال والمدلول أنفسهما، كما قد ورد – في بعضها– بديلا عن مصطلح التّعجّب تجوّزا، أو أنّ مصطلح التّعجّب قد ورد بديلا عن التّعجيب تجوّزا أيضا في بعضها الآخر؛ وذلك راجع لاشتراكهما – أعني التّعجّب والتّعجيب – في المادة الواحدة (ع ج ب) من جهة، وفي الحدث وهو التّعجيب في كليهما من جهة أخرى؛ غير أنّ النّص في التّعجّب ينشأ تبعا لنّشأة الانفعال في النّفس أمّا في التّعجيب فذكر السّكاكي أنّه ينشأ فيه النّص بدايةً لتحريك انفعالات المتلقي قصد تعجيبه آخِرا[9] لأغراض مختلفة (التّشويق التّحذير...) يأتي التّعجيب لإحداث الانفعال في نفس المتلقي للخطاب؛ قد

---

7. لسان العرب، مادة (ع، ج، ب).

8. الشّافعي علي الصّبان، **حاشية الصّبان على شرح الأشّموني لألفيّة ابن مالك**، تح: طه عبد الرّؤوف سعيد ط1ــ بيروت. دار الكتب العلميّة، 1471/ 1997: 3/ 23، والرّضي الإستراباذي محمّد، **شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب**، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، 1417 /966: 1088/2.

9. جلال الدّين القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تح: محمّد عبد المؤمن خفاجي، ط: 3، دار الجيّل: **2/ 110.**

يأتي هذا الانفعال إيجابيا عند محبّة الفعل وتعظيمه عند مُنشئ هذه البنية لغرض التّشويق مثلا فيحدث التّعجيب نتيجة عدم استيعاب العقل لتفاصيل الصّورة المعروضة، وقد كثُر هذا الغرض في القرآن الكريم توسّلا بالاستفهام بـــ (ما) لما فيها من إبهام يعين العقل على مدِّ الصّورة حتى تصل إلى أقصى حالاتها، لهذا ناسب هذا الأسلوب وصف الجنة وما فيها تشويقا، نحو قوله تعالى: ﴿نى ىٰ ير يز يم﴾ [الواقعة: 8]، ويظهر هذا النّوع من الانفعال أيضا في التّعجّب؛ كأن أعجب من جمال السّماء قائلا: (ما أجمل السّماء!) ومن رجل ضخم الجثة: (ما أضخم هذا الرّجل!) لهذا رأى النّحاة[10] أنّ الفاعل قد حُذف ههنا وجوبا[11] لعدم معرفته وهو عندهم بمعنى شيء (هذا الشّي غير محدود فيُترك لخيال القارئ)[12]. أمّا الانفعال السّلبي المُنشئ للتعجّيب، فيكون عند بغض فعل ما؛ كأن يحمل ضمنا دلالة التّحذير، وقد جيء به في القرآن بتعليق (ما) أيضا عن العمل حال تسليطها على فئة ينتظرها وعيد، منه قوله تعالى: ﴿يى يي ئج ئح ئخ﴾ [الواقعة: 9] أمّا في التّعجّب فمثاله أن أعجب من ظُلم رجل فأقول: (ما أظلم هذا الرّجل، أو (ما أشدّ ظلمه!) ومن جهله (مـــــا أجهله وما أشـــــــدّ جـــــــهله!) ومن قبحه: (ما أقبحه! وما أوضح قبحه!).

---

10. أنكر بعضهم على النّحاة إعرابهم لـــ"ما" وما تبعها من إعراب لما تحمله من تكلّ ف في التّأويل الرّاجع إلى الحذف غير المبرّر. ينظر: عبد الوافي وافي علي، **النّحو الوافي**، ط3، مصر، دار المعارف: 343/3.

11. الفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره (هو) يعود على (ما) بمعنى (شيء).

12. عفيفي أحمد مصطفى، حول الصّيغ ودلالتها في اللغة العربيّة، **صحيفة دار العلوم للّغة العربيّة وآدابها والدّراسات الإسلاميّة** الإصدار الرّابع، القاهرة، مج1/ ع، 1992، محرم يوليه: 181، 182.

3- بنية التّعجيب في القرآن الكريم: عبّر بعض النّحاة عن فعل التّعجّب في كونه: (ما وضع لإنشـــــــــاء التّعجّب)[13] فالملاحظ أنّ فعل التّعجّب قد يحدث في النّفس عند استغراب أو استعظام أمر ما، لينشأ في مرحلة أولى في النّفس المنفعلة، فيترجمه اللّسان في مرحلة ثانيّة إفصاحيّة في بُنى خاصّة عُرفت بأسلوب التّعجّب، كما أنّ هذا الفعل – أعني التّعجّب– قد يُعمد إلى إنشائه في نفس المخاطب ببُنى عديدة، وحينها يُسمّى بالتّعجيب؛ (ما وُضع لإنشاء التّعجّب) قد عبّر عن بنى التّعجّب والتّعجيب مع مراعاة أنّ البنيّة في التّعجّب إفصاحيّة تأتي في مرحلة أخيرة وقد تملك قوّة إنجازيةّ؛ وهي ما عُرف بلاغيا بأغراض التّعجّب/ لازم الفائدة فيه (التّشويق، التّخويف..) في حين نجد أنّ التّعجيب من الأفعال الكلاميّة التي تهدف إلى الإنجاز الفعليّ دائما (الإخضاع للتّعجّب لتحقّيق أغراض بلاغيّة سيأتي بيانها) وتكون البنية فيها هي المرحلة الأوّلى لتحقّيق فعل التّعجّب، وبعده تتحقّق تلكم الأغراض التّعجيب في القرآن الكريم يمكن تصنيفها إلى:

3-1-الصّيغ القياسيّة للتّعجيب: يشّترك التّعجيب مع التّعجّب في صيغة (ما أفعله!) ولأنّنا وضّحنا أنّ الفرق بينهما من النّاحية الإجرائيّة، هو كون البنيّة في التّعجّب تأتيّ متأخِّرة عن الانفعال بزمن غير ملحوظ، في حين إنّ البنيّة هي المُنشئة للتّعجّب في وظيفة التّعجيب، أمّا عن صيغة (أفعل به!) التي عد ها النّحاة صيغة قياسيّة ثانيّة للتّعجب فقد تبيّن أنّها صيغة خاصّة بوظيفة التّعجيب على ما سنبيِّنه:

---

13. ابن الحاجب جمال الدّين، **الكافية في علم النّحو**، تح: صالح عبد العظيم الشّاعر، ط:1 مكتبة الآداب (القاهرة) 2010: 49، ويُنظر: عماد الدّين إسماعيل، **الكنّاش في فني النّحو والصّرف**، تح: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصريّة للطّباعة والنّشر، بيروت: 2/ 49.

– **ما أفعله!:** يرى النّحاة أنّ التّعجّب في أصلّه خبر، فيقول الرّضي: "معنى ما أحسن زيدًا في الأصل شيء من الأشياء جعل زيدًا حسنًا، ثمّ نقل إلى إنشاء التّعجّب وانمحى عنه معنى الجعل، فجاز استعماله في التّعجّب من شيء يستحيل كونه بجعل جاعل نحو: ما أقدر الله وما أعلمه"[14] فـــ (ما) بمعنى شيء، وهي في محلّ رفع مبتدإ، و(أفعل) فعل ماض مبني على الفتح، فاعله مستتّر وجوبا تقديره (هو) يعود على (ما) وهذا ما حقّق التّعجّب لعدم تحدّد فاعله، و(الهاء) في محلّ نصب مفعول به والجملة الفعليّة (أفعله) في محلّ رفع خبر.

ولاشّتراك التّعجّب والتّفضيل في صيغة (أفعل) رأى د (تمّام حسّان) أنّ التّعجّب في أصله أسلوب تفضيل، وقد نُقل إلى هذا المعنى (التّعجّب) في بناء مخصّوص، ولا سيّما أنّ شروط صياغتهما واحدة"[15]، وقد خصّ الرّضي التّعجّب بأنّه لا يُبنى إلاّ مما وقع في الماضي واستمر حتى يستحقّ أن يُتعجّب منه، بخلاف التّفضيل فإنه قد يأتي من المستقبل نحو: (أنا أضرب منك غدا!) لهذا كان فعل التّعجّب ماضيا على أشهر صيغه في رأيّ الرّضي.[16]

أشرنا في مقدّمة هذا البحثّ إلى أنّ التّعجيب يشترك مع التّعجّب في صيغة (ما أفعله!) ويبقى تحديد أيّهما المقصود مرهونا بصاحب الخطاب أوّلا، ثمّ نوع الدّلالة ثانيا، أي: أحقّيقية هي أم مجازية؟ أو كما عبّر عنه هاليداي بمفهوم التّنبّؤ، ولأنّنا رأينا أنّ التّعجّب قد أُريد به حقّيقةً الإفصاح عن انفعالات إزاء مواقف اختلفت فيها الأغراض (تشويقا تحذيرا

14. شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، محمّد الرّضي الإستراباذي: 2/ 1095.
15. تمّام حسّان، **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، القاهرة، ط4، عالم الكتب، 114: 2004.
16. شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، محمّد الرّضي الإستراباذي، 2/ 1089.

سخريةً...) نجد أنّ هذه الصّيغة نفسها – أعني (ما أفعله!)– قد تُعبِّر عن طريق المجاز على معنى التّعجيب محاولةً لإحفاز المتلقيّ للخطاب – بعد غمسه في حالة انفعاليّة وقد رُسمت في ذهنه صورة الموقف – على إدراك معنى المعنى بعد أن استنكر الأمر بدايةً فمثلا يعبِّر الطّالب لحظة اطِّلاعه على الاختبار في القاعة الدّراسيّة، وقد انفعلت نفسه إيجابا مع الموقف قائلا: (ما أسهل هذا الاختبار!) فهذا تعجّب من الطّالب.

إنّ العبارة نفسها إذا قالها أستاذ المادة في السّياق نفسه (لحظة الاختبار، وفي القاعة الدّراسيّة) لطلبته ليس الغرض منها الإفصاح عن انفعاله؛ فهو على علم بمستوى أسئلة الاختبار ومُطّلع عليّها، ولكنّ الأستاذ يريد إخضاع الطّلبة لحالة شعوريّة؛ إمّا إيجابا إذا أريدت الحقّيقة بسهولة الاختبار، وذلك لغرض إحفازهم وتشويقهم لحيازة تقييم جيد لمعلوماتهم أمّا إذا أُريد المجاز تعبيرا من الأستاذ على صعوبة الاختبار بنقيضها، كان الغرض من تعجيبهم هو تعجيزهم أو تحديًّا لهم.

يظهر التّعجيب بصيغة (ما أفعله!) على ما ضُرب مثلا بالطّالب وأستاذه في قوله تعالى – ولله المثل الأعلى– عند وصف مَن جَنف: ﴿فج فح فخ فم﴾[البقرة: 175] أشرنا فيما تقدّم أنّ الكلام ههنا صادر عن الذّات الإلهيّة، وقد اختُلف فيه: أهو تعجّب[17] من الله أم تعجيب منه سبحانه وتعالى؟ فمن أجاز كونه تعجّبا من الله، كانت

17. قد يكون العجب من الله – أيضا – تسميةً مقابلة للعجب من العباد ، وذلك استنكارا لإعراضهم عن الحقّ ؛ كما يُقابل مكر العباد بتدبير الله في قوله تعالى: ﴿نز نم نن نى ني ىٰ ير﴾ [الأنفال: 30]وقد أعلم اللّه أنه إنما يَتَعَجَّبُ الآدميُّ من الشّيء إذا عَظُمَ مَوْقِعُه عنده وخَفِــيَ عليه سببُه، فأخبرهم بما يَعْرِفون ليعلموا مَوْقعَ هذه الأَشياء عنده" النّهاية ابن الأثير3/ 184، فيقول ابن الأَنباري في قوله: بل عَجِــبْتُ أَخْبَر عن نفسه بالعَجَب، وهو يريد: بل جازَيْتُهم على عَجَبِــهم من الحقّ، فَسَمّى

حجّته قول الله تعالى: ُمم نر نز [الصّافات: 12] على قراءة حمزة والكسائي بضم التّاءِ، وكذا قراءة علي بن أَبي طالب وابن عباس؛ وقرأَ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأَبو عمرو: بل عَجِــبْتَ، بنصب التّاءِ؛ يقول **(الفرّاء):** العَجَبُ إِن أُسْنِدَ إِلى اللّه فليس آه من اللّه، كمعناه من العباد[18] ولأنّ المجاز يسمح – كما هو معلوم– بالتّقارض بين الأساليب، رأى أبو حيان إمكان تأويل (ما) في قوله تعالى: ُفج فح فخ فم [البقرة: 175] بعد أن بسط آراء من تقدّمه من المفسرين على معانٍ ثلاثة: تعجبيّة واستفهاميّة ونافيّة، فالنّفي على الحقّيقة؛ إذ إنّ الله تعالى لن يُصبرهم على النّار[19] ومع ذلك يمكن الوصول إلى لازم الفائدة من هذا الخبر، وهو توعد من الله لمن كان عالما بما نزل،

فِعْلَه باسمِ فِعْلِهم" (منقول عن"شرح وتحليل نونية القحطاني 288) وقد ورد العجب من الرّسول ومن المعرضين واختلف السّبب والمسمى واحد في قوله عزّ وجل: ُخم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخضم طح ظم عج عمغج غم فج فح فخفم قح قم كجكح كخ كل كمَّ

[الرّعدْ : 5]؛ الخطابُ للنّبي ﷺ أي هذا موضعُ عَجَبٍ حيث أَنكروا البعْثَ، وقد تبيّن لهم مِنْ خَلْقِ السّمواتِ والأَرض ما دلَّهم على البَعْث، والبعثُ أَسهلُ في القُدْرة مما قد تَبَيَّــنُوا ولأنّ العجب يكون للتّعظيم أيضا، ورد في الحديث: عَجِبَ رَبُّكَ من قوم يُقادُونَ إِلى الجنةِ في السّلاسِلِ؛ أَي عَظُمَ ذلك عنده وكَبُرَ لديّه، فنجد أنّ معنى العجب في الآية موضوع النّقاش، بمعنى التّعظيم إذا أُسند إلى المخاطب فقيل:" بل عَجِبْتَ، معناه بل عَظُمَ فِعْلُهم عندك، وقد أَخبر اللّه عنهم في غير موضع بالعَجَب من الحقّ؛ قال: أَكَانَ للناسِ عَجَباً؛ وقال: بل عَجِــبُوا أَنْ جاءهم مُنْذِرٌ منهم؛ وقال الكافرون: إِنَّ هذا لشيءٌ عُجابٌ".(منقول عن لسان العرب مادة (ع ج ب).

18. الفرّاء أبو زكرياء، **معاني القرآن**، أبو زكرياء، تح: أحمد يوسف النّجاتي وآخرون، القاهرة، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، ، ط:1: 2/ 384.

19. أبو حيّان الأندلسيّ، البحر المحيط، تح: صدقي محمّد جميل، دار الفكر (بيروت) 2: 1420/ 124– 125.

وخاصّة أنّه وصفهم ولم يُصرّح بأسمائهم، استعانةً بالاسم الموصول – وهو اسم عامّ– وقد أعانت صلته على الإخبار عنهم وما يأتون به من كفر، لهذا جيء بعد الجملة الموصوليّة باسم الإشارة (أولئك) إخبارا، وهي للإشارة إلى البعيد للتّنبيه على بعدهم مجازا عن طريق الحقّ، فقال الله تعالى: ﴿تم تهثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضخ ضم طح ظم عج عم غجغم فج فح فخ فمَّ [البقرة: 174–175] ولأنّ الاسم الموصول أقلُّ تعريفا من اسم الإشارة، سمح الأسلوب القرآني الإستعانة بصلّة الموصول بعرض الصّورة عن طريق المقابلة قصد إثارة انفعال المتلقيّ ليتدبّر كيف لعاقل أن يستبدل الحقّ بالباطل؟ لهذا جيء بالتّعجيب في قوله تعالى: ﴿فج فح فخ فمَّ [البقرة: 175] وقد جمع (أبو حيّان) ما أجمع النّحاة عليه من معان لـــ (ما) فكانت إمّا تعجيبيّة أو استفهاميّة مجازا لإفادة معنى التّعجّب، أو موصولة وقد بيّنا وجه الفائدة من تداولها. فأما التّعجّب –وقد تبين لنا استحالة الفعل من الله تعالى– فيمكن ردّه على من يصح ذلك منه، أي: هم ممّن يقول فيهم من رآهم: ما أصبرهم على النّار! وظاهر التّعجّب أنّه من صبرهم في الحالّ، أي في الدّنيا، لا أنّهم سيصبرون فأهل النّار قد يجزعون من هول الموقف[20].

رأينا ممّا تقدّم أنّ الصّبر قد استُخدم في معناه حقّيقةً، أي: (ما أصبرهم على عمل أهل النّار!) أو (ما أصبرهم على عمل يؤدّيهم إلى النّار!) وقد يكون معنى (الصّبر) بمعنى الجرأة، وهي لغة يمانية، وبذلك جُمع بين المعنيين المتبادرين إلى الذّهن أيّ: (ما أجرأهم على العمل الذي يُقرِّب إلى النّار) فهم يوصفون به في الدّنيا[21]. قد يؤتى بالصّبر مجازا

20. البحر المحيط: 2/ 124.

21. البحر المحيط: 2/ 125.

لإرادة العمل، أيّ ما أعملهم بأعمال أهل النّار! وقيل هو مجاز أُريد به قلّة الجزع، أي: ما أقل جزعهم من النّار! وقيل: هو مجاز أريد به الرّضا، وتقريره أنّ الرّاضي بالشّيء يكون راضياً بمعلوله ولازمه إذا علم ذلك اللزوم، وهو النّار هنا، فلما أقدموا على ما يوجب النّار وهم عالمون بذلك، صاروا كالرّاضين بعذاب الله والصّابرين عليه[22] فقال الزّمخشريّ: فما أصبرهم على النّار! تعجب من حالهم في التّباسهم بموجبات النّار من غير مبالاة منهم[23]. أمّا كون (ما) استفهاميّة لا تعجبيّة، فلكون الاستفهام مجازيا على معنى التّوبيخ، أي: أيّ شيء صبرهم على النّار حتى تركوا الحقّ واتّبعوا الباطل؟ وأما كون (ما) نافيّة فقد تمّ بيانه فجُمعت المعانيّ الثّلاثة: التّعجّب والاستفهام والنّفي، وجُمع في التّعجّب الحقّيقة والمجاز[24] وممّا يمكن حمله على هذه التّأويلات أيضا قوله تعالى: ﴿كلا لما يقض ما أمره﴾ [عبس: 17].[25]

– **أفعل به!**: أجمع النّحاة على أنّ هذه الصّيغة هي جملة فعليّة تُصاغ لغرض التّعجّب، واختلفوا حول طبيعة الفعل (أفعِل) فرأى البصريون أنّ لفظه لفظ أمر، ومعناه معنى الخبر، أي أصلّه فعل ماض على صيغة أفعَل، بمعنى صار ذا كذا، كـــ (أغد البعير) إذا صار ذا غدة، ثمّ غُيِّرت الصّيغة عند نقلها إلى إنشاء التّعجّب ليوافق تغيّر اللّفظ تغيّر المعنى من الإخبار إلى الإنشاء، وتجنّبا لإظهار الفاعل في فعل الأمر للمخاطب المذكر المفرد، زيدت الباء، وصارت ملازمة للفاعل ليصير على صورة المفعول به كـــ (امرر

---

22. البحر المحيط: 2/ 125.

23. أبو القاسم الزّمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، ط:3، دار الكتاب العربيّ (بيروت) 1407: 1/ 216.

24. البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي: 2/ 125.

25. الزّمخشري الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 4/ 703.

بزيد) فأصل (أحسِن بزيد!) (أحسن زيدٌ!) أي: صار ذا حسن، فهمزته للصّيرورة[26]، لكنّ الملاحظ أنّ تفسير الطّلب بالإخبار ههنا يُحمِّل الصّيغة فوق ما تحتمله، وعليّه يجب أن تبقى هذه الصّيغة على أصل وضعها ودلالتها، وذلك لإنشاء التّعجيب لا التّعجّب. وبعد فحص دقيق لهذه الصّيغة نصل إلى دعوة صريحة للتّعجّب، وهو ما عُرف بالتّعجيب، وهذا ما أنبأت عنه صيغة الأمر التي عد ها النّحاة أمرا شكلّ يا ههنا لكون الفاعل غير ظاهر فكانت بناءً متحجِّرا لا مطابقة فيه؛ لا نوعا ولا عددًا بين الفعل وفاعله، وبعد هذا الفحص لوحظ أنّ في تحليل النّحاة لهذه الصّيغة تكلفا واضحا؛ فالتّعجّب –وهو أسلوب إنشائيّ غير طلبي– لا يمكن أن يحلّ محله أسلوب إنشائيّ طلبي، هو الأمر إلاّ أن يخرج هذا الأخير عن أصل دلالتّه كما خرج الاستفهام –مثلا– في توزيع معيّن لإفادة معنى التّعجّب؛ ليكون الاستفهام حينئذ مجازيا، وقد فسّر النّحاة أيضا تطوّر (أفعل) التّفضيـــــــــــــــــــــل لإنشاء أسلوب التّعجّب، فلماذا لا يُقبـــــــــــــــــــــل القول بتطوّر فعل الأمر لإنشاء التّعجيب ؟! أما د. **(فاضل السّامرائي)** فقد استنكر المغالطة التي وقع فيها النّحاة وأوقعوا غيرهم فيها عند تحديدهم للمتعجّب منه في الصّيغتين (ما أفعله! وأفعل به!) على أنّه مفعول به في الجملة الأوّلى وفاعل في الجملة الثّانيّة[27] لهذا يرى بعض المحدثين ما رآه الكوفيون والزّخشري من أنّ الفعل دعوة إلى التّعجّب، والباء زائدة للدّلالة على معنى التّعجّب أو أنها للالصّاق والاسم بعد ها مفعول به، والفاعل ضمير المخاطب المستتر.[28] يمكن الجزم بعد

---

26. أبو العرفان علي الصّبّان الشّافعي، حاشية الصّبّان على شرح الأشموني لألفيّة ابن مالك ط:1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 997/1417: 3/ 26.

27. إبراهيم السّامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ط: 3، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1403/ 1983.

28. عبد الله بن أحمد بن أحمد محمّد، النّحو العربي بين القديم والحديث –مقارنة وتحليل–دار اليازوري العلميّة للنّشر والتّوزيع: 247.

ئذ بكون الأمر قالبا مستقرًا لإفادة التّعجيب لا التّعجّب بعد تعليق حرف الإضافة (الباء) به في نحو: (أكرم بزيد) أو في قوله تعالى: ﴿نخ نم نهَّ[مريم: 38] قال (ابن عاشور) مُعبِّرا عن هذا: (وأبصر به وأسمع صيغتا تعجيب).[29] وبذلك ينتقل الانفعال بهذه الصّيغة من المتكلّم إلى المخاطب، فـــ (أكرِم): فعل أمر للتّعجّيب، فاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره (أنت) والباء: حرف جر يمكن تفسيره على معنى الإلصّاق مجازا (الكرم ملاصق لزيد) أو على معنى الاستعانة (تعجّب من الكرم مستعينا بزيد) و(زيد): اسم مجرور لتعيين مَن وقع عليه الفعل، فهو مفعول به بتعد ية غير مباشرة بالحرف كتعديّة الفعل كتب في قولنا: (كتبتُ بالقلم) أو الفعل (مرّ) في: (مررتُ بزيد) وعليه يمكن عد صيغة (أفعل به!) صيغة قياسيّة وحيدة خاصّة بأسلوب التّعجيب.

3-2-التّعجيب السّماعيّ: ويُقصد به ما ورد بنصِّه عن العرب لإرادة معنى التّعجيب، ونجده في اللغة العربيّة بصيغ التّعجّب السّماعيّ نفسها، ويبقى السّياق حَكَما بينهما؛ فإذا أُريد الإفصاح عن الدّهشة كان تعجّبا، وإذا جيء به في الكلام قصد إرادة تعجيب المتلقي لا تعبيرا عن انفعال المتكلّم كان تعجيبا، ومنه في القرآن هذا القول: **سبحان الله** استُعمل هذا التّركيب في القرآن ليُراد به التّعجيب لكون ما يُتحدّث عنه يتجاوز تنزيه الذّات الإلاهيّة عنه [30] كما أنّ هذا الكلام تعجيب لأنّه من كلام الله نحو قوله تعالى: ﴿سخ سم صح صخ صم ضجضح ضخ ضم طح ظم عج عمَّ [الأنبياء: 22].

29. التّحرير والتّنوير 15/ 302.

30. محمّد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسية (تونس) 1984، 15/ 10.

– **قاتلهم الله:** ويأتي بعد هذه الجملة الخبرية في بنيّتها، الطّلبيّة في وظيفتها (الدّعاء[31]) ما يثير العجب، ويُعبّر عنه غالبا باستفهام إنكاري نحو قوله تعالى: ﴿كد كذكا كم لجَّ [المنافقون: 4] .

3-3- التّعجيب الوظيفي: قد يأتي التّعجيب في القرآن بصيّغ قياسيّة كما في التّعجّب، وقد تُوظّف بعض التّراكيب بمعونة من السّياق لإحداث التّعجيب على ما سنبيِّنه ولأنّ التّعجيب يختلف عن التّعجّب في كونّه متوجِّها إلى الآخر قصد حمله على الانفعال لأغراض؛ كالتّرغيب والتّرهيب والتّوبيخ جيء بالتّعجيب في اللغة العربيّة على شكلّ بنيّة شبه قارّة تدور حول الأحوال؛ فالحالّ أو ما يلتقي معه وظيفيا وصرفيا (كالخبر والصّفة) يرد في سياقات خاصّة كوِّنا صورة من شأنها أن تتفاعل مع الشّعور لتخلق عنصر التّعجيب عند المتلقي. يمكن أن يحدث التّعجيب بالأسلوبين الخبري والإنشائي بمعونة من السّياق على هذا النّحو:

3-3-1 التّعجيب بالخبر: تجاوز التّعبير بالخبر في بعض بناه الدّلالة على صدق النّسبة أو كذبها إسقاطا على الوقائع، إلى توجيه انفعالات المتلّقين له سلبًا أو إيجابًا مع تلكم الوقائع وفق هذه البنى:

أ)- **توظيف المفعول المطّلق المؤكِّد لعامله في الكلام:** وممن أشار إلى هذا الاستّعمال (الطّاهر بن عاشور) فرأى أنّ تنوين التّنكير اللاّحق للمصدر المؤكِّد دليل على التّعظيم[32] وقد حقّ لكلّ عظيم أن يُتعجّب منه؛ خاصّة أنّها أفعال اقترنت بالذّات الإلاهيّة؛ كـــ (صبًّا، وشقًّا) في قوله تعالى: ﴿جد جم حج حمَّ [عبس:25]، وقوله أيضا: ﴿خم سج

31. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 4/ 541.

32. التّحرير والتّنوير: 30/ 131.

سد سخً [عبس: 26] والاستعمال نفسه يُحدث التّعجيب بين العباد؛ كأن يُنقل عن زيد خبر ضربه لخالد بقولنا: (ضرب زيد خالدا ضربًا) فلا يؤكّد الفعل (ضرب) إلاّ وقد كانت مظنّة امتناعه شبه مؤكّدة، فوقوع الحدث كوقوع ما لا يُتوقّع حدوثه وقد وقع. ومن التّوكيد أيضا استخدام (قد) مع الفعل الماضي لإفادة التّحقيق (قد خسر، قد ضلوا) مع إتباع الكلام بجملة مؤكِّدة (ما كانوا مهتدين) في قوله تعالى: ُ ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لمىلى لي ما مم نر نزً [الأنعام: 140] فالإخبار عن هؤلاء بالضّلالة، وقد تقدّمه ذكر لخسارتهم، وتلاه توكيد لهذا الخبر أحدث التّعجيب[33].

ب) – تصدّر التّنبيه في الجمل الخبرية: تنوّعت أدوات التّنبيه في اللغة العربيّة ومن ذلك:

– **الفعل (قل):** نحو قوله تعالى: ُلخ لم لهمج مح مخ مم نج نح نخً [الرّعد :27] فمقول القول استُعمل في تعجيب الرّسول ﷺ من الضّلال الذي أُغشيت قلوب الكفّار به وقد توفّرت أمام أعين رؤوسهم سُبل الهدايّة.[34]

– **الإشارة:** يأتي اسم الإشارة مسبوقا بحرف التّشبيه (الكاف) كنايةً لوضع المتلقي للخطاب في سياق تقابلي بين المُشبّه والمشبّه به، فيحدث التّعجيب إذ بلغ المشبّه قوّة المشبّه به كتشبّيه الضّلال في قوله تعالى: ُ ين يى يي ئج ئح ئخ ئم بج بح بخبه بهتج تح تخ تم ته ثم جح جم حجحم خج خم سج سحً [غافر: 73-74] (فـ) معنى الإشارة

---

33. أبو محمّد ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، ط:1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422: 2/ 353.

34. التّحرير والتّنوير: 13/ 136.

تعجيب من ضلالهم، أي مثل ضلالهم ذلك يضلّ الله الكافرين.[35] رأى (ابن عاشور) أنّ تصدر التّنبيه (ها) مثلوا بضمير مُردَفًا باسم إشارة دليلٌ على بنية خاصّة للتعّجيب كما في قوله تعالى: ﴿ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تحتخ تم ته ثمجح جم حج حم خج خمً [آل عمران: 119] فما بعد اسم الإشارة هو مجموع حالين متعارضين، وكما هو معلوم أنّ مدار التّعجيب في الأحوال وقد تفاعلت مع مكوّنات النّص[36].

– **التّقديم:** كتقديم الظّرف ليثير العجب بكون مظروفه يتعارض معه عقلا، وهو مقول القول؛ فانعدام الهدايّة وقد توفّرت سبلها يُحدث التّعجيب عند المتلقين لهذا الخبر[37] كما في قوله تعالى: ﴿بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لمملى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ يرً [سبأ: 43] ومنه قوله أيضا: ﴿كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نزً [البقرة 11] من التّقديم أيضا تقديم المسند[38] في الجملة الاسميّة على أن يكون المسند إليه جملة موصوليّة تُعزّز وجود التّعجيب الذي كانت بدايّته بذاك التّقديم في الآية الكريمة: ﴿ نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تجتح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سمً [آل عمران: 75].

---

35. التّحرير والتّنوير: 24/ 205.
36. التّحرير والتّنوير: 4/ 65.
37. التّحرير والتّنوير: 22/ 225 و1/ 283.
38. التّحرير والتّنوير: 3/ 285.

– **الجملة الشّرطيّة:** يحدث التّعجيب بالشّرط لكون جوابه مما يستعظمه العقل وتتفاعل معه النّفس، وقد كثُر توظيف (مَن) في القرآن في الجملة الشّرطيّة لكون (مَن) تدلّ على العاقل، فكان الخطاب موجّها لكلّ عاقل، أو الحثّ لاستّعمال العقل للاهتداء إلى الخير العظيم الذي ينتظرنا في الدّار الآخرة [39] نحو قوله تعالى: ﴿غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لجلح لخ لم له مج مح﴾ [الطّلاق:11] فأُكّد الخلود بالظّرف (أبد) كما أُكّد مضمون الجملة الشّرطيّة بالجملة الخبريّة: (قد أحسن الله له رزقا) لكون (قد) تفيد التّحقّيق، وهذا كلّه يُسهم في التّعجيب. وأيضا تفيد (أي) وهي اسم شرط معرب في بعض السّياقات التّعجيب والتّعظيم[40]، وهي قريبة من (ما) في الإبهام (أي) مما يقتضي التّعجيب بها في نحو قوله تعالى: ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى﴾ [الانفطار8] .

– **حكاية الخبر المُستغرب:** كحكاية أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿ يح يخ يم يه يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئنئى ئي بر بز بمبن بى بي تر تز تمتن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى﴾ [الكهف 17]، فتهدف حكاية هذه القصّة العجيبة أن تتفاعل معها نفس كلّ متلق لهذه الأخبار ليرى آيات الله العظيمة في كلّ خلقه فيهتدي، وإلاّ كان ضالا وقد تهيّأت له أسباب الهدايّة[41]. كثُر في نقل الأخبار المثيرة للدّهشة في القرآن توظيف التّنبيه باسم الإشارة خاصةً، كما كثُر فيه التّفريع والتّفصيل في الصّور المجملة بأدوات خاصّة في اللغة العربيّة؛ كاستعمال (ثمّ) للدّلالة على التّرتيب الرّتبي كما

---

39. النّاصر الدّين البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، محمّد عبد الرّحمن المرعشلي، ط، 1 دار إحياء التّراث العربيّ بيروت 1418: 5// 222.

40. البحر المحيط في التّفسير: 10/ 422.

41. لتّحرير والتّنوير: 15/ 280.

فضّل (ابن عاشور) وصفها لواو للتّقسيم في قوله تعالى: ﴿لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ يرىٰ يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ﴾ [البقرة: 74] فـ (ثمّ) تشير إلى مُجمل ما تقدّم في الآيات السّابقة، أي: (ومع ذلك كلّه) بقرينة الظّرف المجرّور مُضافا إلى اسم الإشارة (من بعد ذلك) ثمّ شُبهت القلوب بالحجارة وما زادها تعجيبا التّفصيل في أحوال الحجارة بعد الواو (وإنّ من الحجارة...) حتى يُرى الخير من هذه الحجارة وقد انتفى عن تلكم القلوب.[42] لوحظ أنّ ورود (ثمّ) في حكاية الأخبار وقد تساوقت مع الفعل المضارع لاستحضار الموقف المثير للعجب[43] هو دليل على بنية خاصّة في التّعجيب نحو قوله تعالى: ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى﴾ [الأنعام: 1] وقد يُوظّف الفعل المضارع الدّال على التّجدّد لإحياء الصّورة فتنفعل النّفس معها [44] وخاصّةً قد تعلّق بشرط تعلّقا غير مباشر بالعطف مع ما يُشير إلى ظرف الزّمان المتكرّر (كلّ ما).

قال تعالى: ﴿غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح﴾ [المائدة: 7] قد تدلّ (ثمّ) في سياق تعجيبي آخر على الاستبعاد[45]، وهو ملازمات التّعجيب كما في قوله تعالى: ﴿ٌّ ٍّ﴾[الأنعام: 2] من قوله: ﴿هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ﴾ [الأنعام: 2]. ومن أساليب الحكاية أيضا

---

42. التّحرير والتّنوير: 1/ 562.

43. لتّحرير والتّنوير: 7/ 128.

44. لتّحرير والتّنوير: 6/ 275.

45. جلال الدّين السّيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت 1408/ 1988، 2/595.

المُحدثة للتّعجيب هو التّشويق بتوظيف استفهام مجازي[46] قبل سرد القصّة يحوي هذا الاستفهام ما يشير إلى عناصر القصّة المهمّة، ويأتي التّفصيل فيها بعد هذا الاستفهام، كما في قصّة داود عليه السّلام قوله تعالى: ﴿ئز ئم ئن ئى ئي بر بز [ص: 21] فبعد الاستفهام بدأ سرد القصّة في قوله تعالى: ﴿بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم﴾ [ص: 22] إلى آخر القصّة، وغالبا ما يأتي هذا النّوّع من الاستفهام بـــ (هل) لتنبيه المتلقي على غرابة سيأتي ذكرها، وهذا ما تنفعل معه نفس المتلقي.

2-3-3 التّعجيب بالإنّشاء: الإنّشاء منه الطّلبي ومنه غير الطّلبي، فمن غير الطّلبي لاحظنا توظيف صيغة التّعجّب لإرادة التّعجيب، ومنه أيضا المدح والذّم، ومن الإنشاء الطّلبي يغلب توظيف الاستفهام:

أ- **المدح والذّم:** تنفعل النّفس مع المدح والذّم ليحدث التّعجيب، فتسعى النّفس غالبا إلى العمل بما يُمدح به والابتعاد عمّا يُذمّ به، من ذلك في القرآن وقد أُكِّد بقسم[47] بقرينة اللاّم الموطِّئة له، وهو كثير نحو قوله تعالى ﴿هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ﴾ [المائدة: 79].

46. أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 5/ 27.

47. أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 2/ 139.

ب–الاستفهام: قد جيء بالتّعجيب في القرآن الكريم –غالبا–بأدوات استفهامية متعددة باستخدام (همزة الاستفهام، وهل، وما، ومن، وأي، وأنّى وكيف) في تراكيب متبايّنة نوعا وتوزيعا، فيأتي التّعجيب كالتّعجّب من الاستفهام المجازي[48] وفق هذه الأنماط:

– **الاستفهام بـــ (أنّى) أو(أيان) أو(كيف):** تُوظّف هذه الأسماء كثيرا في ما يفيد الاستبعاد، لهذا يأتي بها التّعجيب؛ فـــ (أيان) هو اسم استفهام للزّمان المستقبل، تأتي للاستفهام عن الشّيء المعظَّم أمره، أي في موضع تفخيم نحو قوله تعالى تعظيما ليوم القيامة: ﴿فم قح قم كج كح﴾ [النّازعات: 42] وكقوله تعالى: ﴿ئج ئح ئخ ئم﴾ [القيامة: 6]. أمّا (كيف) فتدخل على جملة مقيّدة بحال جملة غالبا لإحداث التّعجيب، وهو من التّعجيب الوظيفيّ لا السّماعيّ كما فضّل بعضهم تصنيفه، ذلك أنّ الأصل في (كيف) أن تكون للاستفهام عن الحالّ، وعند توظيفها متبوعة بذكر صريحٍ للحال كـــ: ﴿سح سخ سم﴾ [البقرة: 28] في قول الله تعالى: ﴿خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح﴾ [البقرة: 28] تخرج مخرج التّعجّب وكأنّ (كيف) عُطِّلت عن وظيفتها الأصليّة (السّؤال عن الحالّ) بذكر حال هي مصدر العجب لعدم انسجامها منطقيا مع الفعل الذي قيّدته وهو في الآية الكريمة (تكفرون) وذلك إذا كان الكلام صادرا من العباد، لأنّ ما صدر منه من الذّات الإلهيّة، فيرجع إلى التّعجيب.

ويرى أحد الباحثّين في اللغة أنّ الآية قد ازدحمت فيها صور عديدة، وعند وقوفك على إحداها يظهر لك الغرض من الآية، فيكون استفهاما توبيخيا عند رؤية من يكفر بالله

48. وقد تنبه الجاحظ إلى استخدام هذا الأسلوب في كتابه (الحيوان) من أجل شدّ القارئ إلى مواطن مستفيدا من الأسلوب القرآني المعجز قائلا أي شيء أعجب؟ ويُنظر: الحيوان 7/ 58، عن فاطمة مبارك، **العجب في أدب الجاحظ**، تونس، الدّار التّونسيّة، 2015.

وقد تجلّت آياته في كلّ خلقه بما في ذلك أنفسهم، فحقّ لهم التّوبيخ، وأنت بفعلهم ذلك تستنكر، فيكون الاستفهام إنكاريا بعد أن جاؤوا بما يثير العجب، ليكون الاستفهام تعجيبيا لهذا رأى الباحثّ أنّ المقام هو الذي يُحدِّد الغرض، ولأنّ المتلقي لهذه الآية قد يستحضر كلّ هذه المقامات فيمكنه أن يحكم على الاستفهام في الآية أنّه توبيخي تعجيبي إنكاري[49] والأصح أنّ هذه البنية هي بنية التّعجيب فيوصف الاستفهام حينئذ بالتّعجيبي، لأنّه جامع لكلّ تلكم الأغراض على ما بيّناه أعلاه، وهو كثير في القرآن. أما (أين) فالأصل أن يُستفهم بها في اللغة العربيّة عن المكان، لكن قد تفيد التّعجيب مجازا كما يظهر في البنيّة التي ورد فيها السّؤال في قوله تعالى: ﴿ضخ ضمَّ [التّكوير: 26] إذ إن المسؤول وقتئذ سينتبه إلى وجهته، فإذا كانت بعكس ما هو مطلوب، يحدث عنده بهذا السّؤال تعجيب فسلكت هذه الآية مسلك المثل، فكانت من مبتكرات القرآن التي عدّدها (ابن عاشور) في تفسيره والاستفهام ههنا إما إنكاري، وإما تعجيزي[50] وهذا ما أفادته الجملة المعترضة المصدرة بفاء التّفريع المفيدة للتّوبيخ وللتّعجيز، وقد رَبطت الفاء الكلام بما تقدّم من حجج تثبت أنّ القرآن وحيّ من الله، فالفصل بين قوله تعالى ﴿سم صح صخ صم ضجَّ [التّكوير: 25] وقوله ﴿ظم عج عم غج غمَّ [التّكوير: 27] بالجملة الاعتراضيّة (عند ابن عطيّة) على معنى التّقرير؛ أي: (أين المذهب لأحد عن هذه الحقائق)[51] وهو استضّلال يلزم منه التّعجّب؛ كقولك لمن ترك الجادة واتّبع الطّريق المضلّة (أين تذهب)[52]. أما (أنى) وأصل

---

49. https://vb.tafsir.net/tafsir4916/#.Wq1n8B3wbMw.

50. التّحرير والتّنوي: 30/ 164-165.

51. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزّيز: 5/ 445.

52. أنوار التّزيل وأسرار التّأويل: 5/ 291، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 4/ 713.

وظيفتها في اللغة العربيّة السّؤال عن مكان، فتكون بمعنى (من أين) أو قد تأتي للسّؤال عن الحالّ بمعنى (كيف) وقد تحمل (أنى) ضِمنا دلالة الاستبعاد، قد تُوظف (أنى) مجازا للدّلالة على التّعجيب وقد سُبقت بما يفيد التّعجّب صراحة بصيغة سماعيّة (قاتلهم الله) في قوله الله تعالى: ﴿تج تحتخ تم تهَّ [التّوبة: 30] ولأنّ مصطلح التّعجيب لم يكن مستقرا عند علمائنا العرب ورأينا أنّهم كانوا يعبِّرون عنه في مواضع كثيرة بالتّعجّب، خاصّة ما كان منه صادرا من الذّات الإلهيّة لكن يأتون في تفاسيرهم بما يشير إلى نقل التّعجيب من الله إلى الخلق بالفعل (عجّب) لهذا رأى المفسرون أن (أنى) في الآية الكريمة تفيد التّعجّب، لكن التّعجّب راجع إلى الخلق على سنّن العرب في كلامهم، والله لا يتعجب من شيء، وفي هذا تعجيب للنّبي ﷺ من تركهم الحقّ وإتيانهم الباطل.[53]

– **الاستفهام بـــ (مَن) و(ما):** ولتعدد بنى التّعجيب بهذين الاسمين في القرآن الكريم يمكن تفصيل ذلك على هذا النّحو:

– **الاستفهام بـــ (ما) معلّقة عن العمل أو مقرونة بجوابها:** الأصل في (ما) الاستفهاميّة أن يُجاب عنها بتحديد المستفهَم عنه، فهي للاستفهام التّصوري، أما تعليقها عن العمل، فيكون بالاستغناء عن هذا التّحديد لدلالة السّياق عليه، أو أنّه قد ذُكر فيما بعد (ما) ولأن (ما) قد اقترن بها معنى الإبهام – وقد رأينا كيف أوّل النّحاة (ما) في(ما أفعله!)– يكثر استخدامها للتّعجيب، خاصّة أن الكلام صادر عن الذّات الإلهيّة، في ما ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿ني نىَّ [الواقعة: 8] و﴿ئج ئحئخَّ [الواقعة: 9] بعد ورود الآيتين بعد ﴿ني نىَّ

53. الواحدي أبو الحسن، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل أحمد أبو الجود وآخرون ط:1، بيروت دار الكتب العلميّة، 1415/ 1994: 490/2.

وُئج ئح ئخَّ على التّوالي بإظهار المسؤول عنه مجازا[54]، وهو مناسب لهذا المقام (التّعجيب) وقد رُبطت الجملة هنا بتكرار المبتدإ، وأكثر ما يكون ذلك في موضع التّهويل والتّعظيم[55]. وبتضام (ما) مع ما يُمدح من أفعال خاصّة بأصحاب اليمين مما يُشعر بحال السّعادة، يحدث بالكلام تعجيب وتعظيم لشأنهم؛ كأنّه قيل: ما هم؟ وأي شيء هم؟[56] بتعليق السّؤال، والسّماح للخيال بتصوّر أحوالهم من باب التّشويق والتّعظيم اللاّمتناهي والآيات لهذا الغرض كثيرة كقوله تعالى: وُتن تى تي ثر ثزَّ ﴿[الواقعة: 27] وقوله عزّ من قائل: ُّخ لمَّ [النّبأ: 1] يُعقِّب الزّمخشري على هذا النّمط من الاستفهام بقوله: (ومعنى هذا الاستفهام تفخيم لشأنه كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون، ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد؟؛ جعله لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه)[57] فانقطاع القرين والنّظير مدعاة إلى التّعجيب، ونحوه قوله تعالى: ُّتج تحَّ [الحاقة: 2] وُّئم ئنَّ [القارعة: 2] أما إذا تضامت (ما) مع ما يُذم من أفعال خاصّة بأصحاب الشّمال، فإنّ المعنى على التّعجيب من حالهم بالشّقاء لغرض التّرّهيب حتى لا يأتي كلّ إنسان بأمثال أفعالهم نحو قوله تعالى: ُّثم جح جم حج حمَّ [الواقعة: 4] وقد تتوارد (ما) الاستفهاميّة مع ما يكون جوابا عنها، لهذا ينشأ التّعجيب باستنكار جوابهم مُورَدا خبرا عنهم كما في قوله تعالى: ُّ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فحفخ فم قح قم كج كحكخ كل كم لج لح لخ لم لهَّ [الأنعام: 109]

---

54. لم يؤت بالضّمير بعد (ما) في الآيتين كما في قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه} القارعة:10 الاختلاف المقام، يُنظر: التّحرير والتّنوير: 27/ 286.

55. البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي: 8/ 204-205.

56. النّسفي أبو البركات، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل، تح: يوسف علي بديوي، ط:1، بيروت دار الكلم الطّيّب، 1419/ 3: 1998/ 420.

57. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، أبو القاسم الزّمخشري: 4/ 684.

أي (يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها، وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها).[58]

- **الاستفهام بـــــــــ (ما) متبوعة بحرف الجرّ المفيد للاختصاص:** ومن التّعجيب على هذا التّوزيع قوله تعالى: ﴿ بم به تج تح تخ تم ته ثمَّ ﴾ [يس: 22] فقد حمّلت هذه الآية تعريضا بالكفّار وقد ملك المتكلّم (السّائل مجازا) عجبٌ منهم، فأراد أن ينقل هذا العجب إليهم حتى يعجبوا من حالهم طمعا في الانتصاح؛ بقرينة قوله **(وإليه ترجعون)** بأن أُسند الرّجوع إلى جماعة المخاطبين –وهم الكفّار– تقوية لمعنى التّعريض؛ ليكون معنى الآية: (وما لي لا أعبد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم إذ جعل الإسناد إلى ضميرهم، وإنما ابتدأه بإسناد الخبر إلى نفسه لإبرازه في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم؛ ليتلطف بهم ويداريهم، فيسمعهم الحقّ على وجه لا يثير غضبهم ويكون أعون على قبولهم إياه حين يرون أنّه لا يريد لهم إلاّ ما يريد لنفسه).[59] وكثيرا ما أُردفت (ما) بلام الاختّصاص في العربيّة، إما متّصلة بضمير المتكلّم، أو ضمير الحاضر أو ضمير الغائب، وقد أحصى (ابن عاشور) أشكال هذا النّظم في القرآن فوجده خمسةً ذا معنى متّحد وبعده حال على هذا النّحو:[60]

1. لام الاختصاص متّصلة بضمير المخاطب بعده جملة حاليّة نحو قوله تعالى: ﴿ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سمَّ﴾ [يوسف: 11].

---

58. الكشّاف: 2/ 58.
59. التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 22/ 368.
60. التّحرير والتّنوير: 23/ 282-283.

2. لام الاختصّاص متصلة بضمير المتكلّم بعده جملة حالية نحو قوله تعالى: ﴿بم به تج تح تخ تمَّ [يس: 22].

3. لام الاختصاص متّصلة بضمير المخاطب بعده استفهام مجازي بـــ"كيف" الدّالة على الحالّ محلّ التّعجّب نحو قوله تعالى: ﴿لخ لم لى ليَّ [الصّافات: 154].

4. لام الاختصّاص متّصلة بضمير المخاطب بعده واو المعية المفيدة للملابسة والملابسة أيضا هي العلاقة المبيّنة للحال نحو (وقد غصت تهامة بالرّجال) التي جاءت بعد المفعول معه (النّلدد) في قول الشّاعر:

فمالك والتّلدد حول نجد ** وقد غصّت تهامة بالرّجال

والشّاهد: نصب "التّلدد" بتقدير الملابسة: (ما شأنُك وملابسةٌ زيداً، أو وملابستُك زيدا)[61]

5. لام الاختصاص متّصلة بضمير المتكلّم بعده **حال** نحو قوله تعالى: ﴿يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﱡ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بنَّ [النّساء: 88].

ويؤكّد معنى التّعجيب في هذا التّوزيع: (ما+ لام الاختصاص + ضمائر المخاطب) بحال جملةٍ تاليةٍ لحال قد تكون مفردةً، أو قد تأتي جملةً مسبوقة بواو الاقتران الزّمنيّ أو الحالّ التي تؤول أيضا على الظّرفيّة المجازيّة، ويكثر هذا في سياق التّحاج كما في قوله تعالى: ﴿يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم بهَّ[الحديد: 8]، فقد ذُكرت الحالّ: ﴿ين يىَّ وقد تزامن كفرهم بالله مع دعوة الرّسول لهم للإيمان، وهذا ما أفادته واو الاقتران الزّمنيّ في قوله تعالى: ﴿ئج ئحَّ وقد تمت الإشارة إلى أنّ التّعجيب أساسًا حالٌ أو خبرٌ تتفاعل معها النّفس، لهذا لا يكون هناك استنكار، إلاّ وقد تقدّمه تعجّب يقول صاحب

61. البيت لمسكين الدّارمي، ويُنظر: الكتاب سيبويه، عبد السّلام محمّد هارون: 309/1.

المحيط: "هذا النّوّع من الاستفهام يتضمّن إنكار ما استُفهم عن علّته، وأنّه ينبغي أن يوجد مقابله، فإذا قيل لك مالك قائما، فهو إنكار للقيام ومتضمّن أن يوجد مقابله [62] لهذا تدعو الآية الكريمة إلى الإيمان بالله. يُلاحَظ بعد استقراء لبُنى التّعجيب في الاستفهام بـــ (ما) داخلةً على لام الاختصاص أنّه يكثر مجيء خبرها جملة فعليّة منفيّة بـــ (لا) تتصدّرها (أن) المصدريّة ويغلب أن يكون بعد (أن) حكايةٌ لقول منكرٍ أو ما يومئ في سياق متقدِّم، كما يغلب أن تتضمّن هذه الجملة اسما موصولا غالبا ما يكون "ما"؛ وهنا يتنقّل الخيال بين كلّ الصّور المطابقة لصلتها دلالةً، فـــ"ما" تفيد تعميم ما تتضمّنه هذه الصّلة، ليحدث التّعجيب كما في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى﴾ [لأنعام 119] ففي الآية استفهام قد تضمّن الإنكار على من امتنع من ذلك، أي لا شيء يمنع من ذلك[63]. يكثر أيضا تقيّد هذا النّوّع من الجمل بحال غالبا ما تكون جملةً، نحو قوله تعالى: ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخنم نى ني هج هم هى هي يج يح﴾ [الأنفال: 34] فالحالّ هنا جملة قوله تعالى: ﴿مح مخ مم مى مي﴾ [الأنفال: 34] أي: (أيّ شيء لهم في انتفاء العذاب)[64] فهو في نظر أبي حيان استفهام تقريري، أي: (كيف لا يُعذبون وهم متّصفون بهذه الحالّ الموجبة للتّعذيب) ويُلاحظ مما تقدّم أنّ اتّصال لام الاختصاص المسبوقة باسم الاستفهام (ما) بكلٍّ من ضمائر الخطاب وضمائر الغيبة وقد قُيِّدت الجملة بحال، هي بنية تفيد التّعجّب، أما إذا زاد تقييده بحال جملة فهو تركيب يفيد التّعجيب فقط.

---

62. البحر المحيط ، أبو حيّان الأندلسي: 3/ 718.

63. البحر المحيط: 4/ 630.

64. البحر المحيط: 5/ 313.

– **الاستفهام ب (ما) مع الفعل (درى):** علمنا فيما تقدم أنّ (ما) بمعنى(شيء) وهي تفيد استغراق ما تضمّنته صلّتها وهنا تظهر إحدى آليات التّعجيب، وهي توظيف الاسم الموصول ليُتيح للعقل التّدقيق في تفاصيل الصّورة الواردة في الصّلة، فيُحلِّل ويقارن، وربّما يقف عند هذه الصّور متعجبا من غفلته متدبِّرا خاصّة إذا توارد (ما) مع الفعل (درى) في الزّمن الماضي (ما أدراك) وفي الزّمن المضارع (ما يدريك) مُضافة إلى ضمير المخاطَب وقد لاحظ المبرد أنّ: (وما يدريك) قد وُظفت في القرآن كلّه وجوابها غير مذكور، أمّا: (وما أدراك) فجوابها مذكور.[65] أما ما ورد فيه الفعل (درى) مفيدا للحال، فمنه قوله تعالى: ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج﴾ [الأحزاب: 63] وتكون دلالة الاستفهام فيه إنكارا لا معنى فيه للتّعجيب غالبا أي لا سبب يوصلك إلى العلم بقربها إلاّ الوحيّ الذي ينزل عليك[66]، وقولنا غالبا؛ أنه قد يأتي التّعجيب منه أحيانا بمعونة من السّياق، سواء المقامي منه أو المقالي. أما ذكر الجواب بعد (ما أدراك) – والفعل (درى) في الزّمن الماضي –فيشير إلى أن الاستفهام قد خرج عن أصل استعماله لاقترانه بجوابه لإفادة التّعجيب، ولا يكون ذلك إلاّ في مقام عظيم؛ إما ترغيبا نحو قوله تعالى: ﴿ئح ئخ ئم ئهَّ [المطففين: 19] وإما تهويلا نحو قوله تعالى: ﴿تم

65. ما اتّفق لفظه واختلف معناه، أبو العباس المبرد، تح: أحمد محمّد سليمان، ط، 1، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، 1409/ 1989، 73–74.

66. الجمل: 4/ 57 عن عضيمة محمّد عبد الخالق، "**دراسات لأسلوب القرآن**"، القاهرة، دار الحديث: 3/ 10.

تهثم جحَّ [الحاقة: 3] وقوله: ُّ ئز ئم ئن ئىَّ [المدثّر: 27] وقوله أيضا: ُّسخ سم صح صخ صمَّ [المرسلات: 14] وقوله: ُّنن ىن ني ىٰ يرَّ [الانفطار: 17].[67]

– **الاستفهام بـــ (ما) مسبوقة بحرف الجرّ المفيد للتّعليل:** كثيرا ما يأتي طلب التّعليل عن أمر مبهمٍ قد أفاده الاستفهام بـــ (ما) لإثارة التّعجيب عن أمر مستنكر صدر عن المخاطب، كما أفاده الاستفهام المُخاطب به أهل الكتاب في قوله تعالى: ُّغج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لجلحَّ [آل عمران: 99] وقوله أيضا ُّله مج مح مخ مم نج نح نخَّ [آل عمران: 70] وقوله ُّلخ لم لى لي مج مح مخ مم مى ميَّ [آل عمران: 71] للإنكار[68] قوله تعالى: ُّنم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخئم ئه بج بح بخ بمَّ [آل عمران: 66] وقوله أيضا: ُّثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى ليما مم نرَّ [آل عمران:65].

سُبقت الاستفهامات في الآيات أعلاه بتنبيه أفاده النّداء بـــ (يا أهل الكتاب) حتى يُقابل هذا الوصف بما ينفي عنهم العلم بالشّرائع والأحكام بانتفاء عملهم بها، وذِكرُ الشّيء وانتفاء النّفع منه هو من اجتماع المقابلات المنشئة للتّعجيب إذا كان الخطاب من الله. أما إذا خاطب بهذا النّمط من البناء عبد من عباد الله، فقد يحتاج هذا الاستفهام إلى فضلة تفيد الإخبار عن حال دالّ على إبهام يُخصِّصه ما بعده؛ كأن تُخصَّص النّكرة بجملة واصفة كما في قوله تعالى: ُّلخ لم لى لي مج مح مخ مي نج نح نخنمَّ [الأعراف: 164] فالجملة الاسميّة ُّمم ميَّ كانت مثار العجب عند وصفها لما قيّد الاستفهام، وهو (قوم) فظهرت المقابلة بين حالين (توعظون) و(الله مهلكهم) لإثارة

---

67. الجمل: 4/ 492 عن عضيمة محمّد عبد الخالق، "**دراسات لأسلوب القرآن**". 3/ 10.
68. التّحرير والتّنوير: 3/ 279.

التّعجيب. ومن الألفاظ الدّالة على الإبهام (ما) لهذا نجد استخدامها اسما موصولا فضلة في جملة قد دخل عليها الاستفهام المسبوق بلام التّعليل، ينشئ التّعجيب أيضا، خاصّة بوجود التّنبيه قبلها بالهاء مثلا (هَاأَنتُمْ، وهَؤُلاء) مرتين، كما في قوله تعالى: ﴿نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بمَّ [آل عمران: 66] وقوله: ﴿نر نز نم نن نى ني ىٰ يرَّ [الصّف: 2] وقد سبق الحديث عن الصّور اللامحدودة المنشأة بتوظيف الاسم الموصول (ما) فقوله تعالى: ﴿ين يى يي ئج ئحَّ [النور: 15] ﴿ني ىٰ يرَّ قد أتاح للخيال أن يجمع بين كلّ المقابلات التي يصدق عليها انتفاء العلم أثناء التّحاج، وتعارض الأفعال مع الأقوال وهو من التّحاج أيضا. **(من):** يكتنفها كـــ (ما) غموض لعدم تعيينها، فيحاول العقل أن يجد جوابا لها، ليقع منه عجب بتعليق الإجابة عنها هذا العجب – في القرآن – قد يشوّق صاحبه لاستشّعار وعد الله، أو قد يشعره بوعيده، فربّما يقف ليتدبّر، فيكون من النّاجين، وقد يكون ممّن مدهم الله في طغيانهم يعمهون –نسأل الله السّلامة – كما في قوله تعالى: ﴿فى في قى قي كا كل كم كى كي لمَّ [الأنعام: 21] وقوله تعالى: ﴿عم غج غم فج فح فخ فم قحَّ [الأنعام: 157] وقوله أيضا: ﴿ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لمَّ [الكهف: 57] وقد قُرن الفعل (أعرض) في سورة السّجدة بحرف العطف (ثمّ) في قوله عزّ وجل: ﴿نج نح نخ نم نى ني هج هم [السّجدة: 22]، هذا ما عزّز معنى التّعجيب في الآية الأخيرة لغرض التّحذير؛ فالإعراض جاء متراخيا بعد التّذكير بالآيات تراخيَ استبعادٍ كما وصفه (ابن عاشور)[69]، يُضاف إلى أنه لا يُنتظر من هذه الآيات تحديد المفضل عليه (نحويًّا) بعد (أفعل) التّفضيل

69. واستأنس لهذا التّوجيه بقول الشّاعر: **لا يكشف الغُمّاء إلا ابنُ حُرّة يرى غمرات الموت ثمّ يزورها** أي: عجيب إقدامه على مواقع الهلاك بعد مشاهدة غمرات الموت تغمر الذين أقدموا على تلك المواقع. التّحرير والتّنوير الطّاهر بن عاشور: 21/ 234.

(أظلم)؛ لأنّ المفضّل – وهو الاسم موصول (مَن) – قد بلغ أقصى حالات الظّلم بحسب ما دلّت عليه صلة الموصول؛ وهي الإعراض والتّكذيب بآيات الله والجرأة على الكذب على الله وهي أقصى تلك الحالّات. أمّا مجيء (من) في سياق التّرغيب بالاستفهام الإنكاري وقد أُخضِعت النّفس للتّعجب، فنجد منه قوله تعالى: ﴿ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى﴾ [البقرة: 130] فقد دخلت (إلاّ) على الاستفهام المجازي المنبئ عن إنكار واستبعاد، والإنكار نفي أي: (لا يرغب عن ملّة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه) وقد جُمعت كلّ الفضائل في إبراهيم للاقتداء به ولا يتخلّف عن ذلك إلا سفيه[70]، فنُسخ الاستفهام إلى إثبات، ليكون المعنى: (يرغب عن ملّة إبراهيم من سفه نفسه) ولأنّ الفاعل جملة موصوليّة مصدّرة بـــ (مَن) كان افتقارها للتّعيين بما تفيده صلتها مدعاة للتّعجيب (من سفه نفسه) وهو استفهام يراد منه التّرغيب في فعل أمر ما، كقوله تعالى: ﴿صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم﴾ [البقرة: 245] قصدا للحثّ[71]؛ فالإقراض ومضاعفة القرض من الله يثير في النّفس التّعجّب، حبّا في العمل الموصّل إلى هذه النّتيجة.

ونخلصّ مما تقدّم عن بُنى التّعجيب باسم الاستفهام (مَن) أنّ ما تُقيّده (مَن) يكون غالبا جملة موصوليّة، يكون اسمها (مَن) أو (الذي) ولانعدام إمكان تحديد المُستفهم عنه بسبب دلالة العموم في (مَن) من جهة، ولأنّ من يعمل بمضمون الصّلة قوله تعالى: ﴿صخ ضخ ضم طحَّ لا يحتاج أن يسأل عنه سائل لما ينتظره من خير من جهة أخرى؛ حينئذ يحدث التّعجيب.

---

70. التّحرير والتّنوير: 1/ 724.

71. التّحرير والتّنوير: 2/ 481.

ج- دخول الاستفهام على جملة مقيّدة بحال: كثيرا ما يفيد الاستفهام بالهمزة التّعجيب عند الإنكار بوجود حالٍ مُستفهَمٍ عنها تثير التّعجّب والاستغراب؛ لهذا قد يُعامل المخاطَب وكأنّه غير عاقل، وبهذا خاطب الله تعالى علماء بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه﴾ ﴿بج بح بخ﴾ [البقرة: 44] فالاستفهامُ في ﴿ين يى يي﴾ لم ينته هنا، ولو كان كذلك لوجبت الإجابة بـــ (نعم) أو (لا) لكون الاستفهام تصديقيا لكن مجيء الحالّ ﴿ئخ ئم ئه﴾ ﴿بج﴾ الزّم بتعليق الاستفهام به، فكان التّعجيب مِنْ حالِهِمْ مع التّوبيخ[72]؛ إذْ يأمُر علماء بني إسرائيل النّاسَ منْ عَامّتهم بالبرّ؛ بالتّوَسُّعِ في أعْمالِ الخير فوْقَ الواجبات التي فرضها الله، ويتركون هم أنفسهم آداء ما فرض الله عليهم؛ (ومَنْ يَأْتِي مَا يَسْتَحِقّ التّوْبِيخَ عَلَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَسَاءَلَ النّاسُ عَنْ ثُبُوتِ الْفِعْلِ لَهُ وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ بِالسّؤَالِ فَيَنْتَقِلُ مِنَ السّؤَالِ إِلَى التّوْبِيخِ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ مَعْنَى التّعجيب مِنْ حَالِ الْمُوَبَّخِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الحالّةَ التي وُبِّخُوا عَلَيْهَا حَالَةٌ عَجِيبَةٌ لِمَا فِيهَا مِنْ إِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ وَإِهْمَالِ النّفْسِ مِنْهُ، فَحقّيقٌ بِكلّ سَامِعٍ أَنْ يَعْجَبَ مِنْهَا).[73]ومن توارد همزة الاستفهام مع الحالّ وهو جملة، قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زُرق كأنياب أغوال

فالشّاعر يستنكر التّهّديد بقتله والقدرة على ذلك، وحاله أن لازمه المشرفي حتى في مضجعه، لتكون (الواو) واو حال وما بعد ها جملة حالية؛ فالشّاعر لا يعجب ممّن هدّده، بل يريد نقل الانفعال إلى السّامع حتى يعجب من حال يستحيل معها التّهديد، فكيف يجرؤ عليه صاحبه؟ وكون الحالّ بعد استفهام قد عزّز دلالة الإنكار في الاستفهام وهو ما أحدث تعجيبا

---

72. لَيْسَ التّعجّب بِلَازِمٍ لِمَعْنَى التّوْبِيخِ فِي كلّ مَوْضِعٍ، بَلْ فِي نَحْوِ هَذَا مِمَّا كَانَ فِيهِ الْمُوَبَّخُ عَلَيْهِ غَرِيبًا غَيْرَ مَأْلُوفٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ، التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 1/ 475.

73. التّحرير والتّنوير، 1/ 475.

كما في قوله تعالى: ﴿قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ﴾ [هود: 28]. حالة الكره الموصوف بها المخاطَبون في قوله تعالى: ﴿نج نح نخ﴾ على اعتبار الواو للحال كان مقابلةً لقوله تعالى: ﴿ممَّ وهي– أعني المقابلة – إحدى أساسيات البنية في التّعجيب كما سيأتي بيانه، وهو ما بيّنه الجرجاني قائلا: (واعلم وإن كنا نفسِّر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإنّ الذي هو محض المعنى ليتنبّه السّامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيى بالجواب)[74] فيذكر الجرجاني مبيّنا سبب التّبكيت؛ في أنّ هناك:

- إمّا ادعاءً للقدرة على الفعل الذي لا يُقدر عليه؛
- وإمّا شروعا في فعل غير مستصوَب فعله؛
- وإمّا تجويزا لأمر لا يوجد مثله.

فهذه حالات ثلاث إذا دخل عليها الاستفهام، كانت كما لو استُفهم عن محالّ يثير العجب نحو: أتصعد السّماء؟ أتستطيع أن تنقل الجبال؟ أ إلى ردّ ما مضى سبيل؟ (فإنّه لا يُقرر بالمحالّ، وبما لا يقول أحد إنّه يكون إلاّ على سبيل التّمثيل، وعلى أن يقال له: إنّك في دعواك ما ادّعيت بمنزلة من يدّعي هذا المحال، وإنّك في طمعك في الذي طمعت فيه بمنزلة من يطمع في الممتنع).[75]

د– المتناقضات في سياق الاستفهام الإنكاري: الجمع بين المتناقضات في سياق الاستفهام الإنكاري من بنى التّعجيب الشّائعة، إذ يدخل الاستفهام ههنا على تنبيهٍ ثمّ تُذكر المتناقضات عقلا، فمن التّنبيه دخول الاستفهام على حرف من حروف العطف، نحو قوله

---

74. الجرجاني عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تح: محمّد رشيد رضـــــا، ط، بيروت، دار المعـــــرفة، 1419 /1998: 93.

75. دلائل الإعجاز: 93.

تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح﴾ [البقرة: 75] وقوله تعالى: ﴿لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به﴾ [الأنعام: 122] وقوله أيضا: ﴿غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم﴾ [النّحل: 52] فذُكرت المتناقضات في الآيات على التّـــــوالي: (الإيمان/ التّحريف عمدا، مَثَلُ المؤمن (الحيّ)/ مَثَلُ الكافر (الميّت) عبادة الله وخشيّته وهو ملك الملوك/ خشيّة غير الله) فالاستفهام الدّاخل على هذه المتناقضات يُحفِّز العقل ليتدبّر، فيعجب لحاله المنافية للحقّيقة.

قد يُسبق هذا الاستفهام أيضا بتنبيه بالفعل "قل" كما في قوله تعالى: ﴿نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح﴾ [الأنعام: 14] وقوله تعالى: ﴿ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم﴾ [الأنعام: 164] وقد تجتمع المتناقضات فيُسأل عنها بـــ (كيف) قصدا للتّنبيه؛ كما في قوله تعالى: ﴿فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج﴾ [الأنعام: 81] وقد أُتبع هذا الاستفهام باستفهام مجازي استنكاري لتأكيد التّناقض في قوله تعالى: ﴿فم قح قم كج كح كخ كل كم﴾ [الأنعام: 81] فترجّح الفريق الآمن، وهو المستمّسك بالله.

هـــ- الاستفهام الدّاخل على أفعال التّدبر والتّفكر: من الأفعـــــــــــــــال التي تحثّ على التّفكّر في القرآن الكريم: (هدى نظر، رأى، أرشد، درى) وقد وردت هذه الأفعال في سياق الاستّفهام الإنكاري معلّقة عن العمل لغرض التّعجيب؛ فالمتلقيّ يستحضر المقام ويتفكّر فيه ليطابقه مع الحقّيقة، وهنا يظهر أنّ الخطاب الواحد قد تنتج عنه استجابات مختّلفة بقدر اختلاف المعطيات المتوفرة لدى المتلقين لاختلاف تصوّراتهم، نحو قوله

تعالى: ﴿ يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴿ ﴾ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر ﴾ [طه: 128] وقوله تعالى: ﴿ يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴿ ﴾ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر ﴾ [الرّوم: 8] وقوله تعالى: ﴿ نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ﴾ [الأعراف: 184] [76] وفحوى الآية الأولى الإخبار بالكثرّة على من حقّ عليّهم الهلاك من القرون السّابقة، وهذا ما علمته القرون اللاّحقّة بها إلاّ أنّها لم تعتبر فمعنى الاستفهام: "وألم يرشدهم إلى الجواب؛"كم أهلكنا قبلهم؛ أي كثرة إهلاكنا القرون[77] أما الآية الثّانية، فتشير إلى مكابرة وافتراء أهل الشّرك على الرّسول ﷺ، وهم يصفونه بحال الجنون وهم يعلمون حقّ اليقين أنّه أنبل أهل زمانه خُلقا وأرجحهم عقلا، لهذا جاء الردّ الرّباني بالقصر قوله تعالى: ﴿ ين يى يي ئج ئح ﴾ بعد نفي الجنون عليه ﷺ بـــقوله تعالى: ﴿ ني ىٰ ير يز يم ﴾ [الأعراف: 184] لبيان أنّ الرّسول منذر مبين فكيف لهم أن يزعموا غير ذلك أم أنّ الحقائق قد التبست عليهم، فكان الكلام تعجيبا من الله للكفار.[78]

تقدّم الحديث عن التّدبر في غير الكون بالفعلين (هدى وتفكّر) أما إذا تعلّق الأمر بالتّبصُّر والتّفكّر في صفات الذّات جُعل فعل القلب الفعل (نظر)متعلقًا بأسماء الذّوات[79]على البنية نفسها المذكورة أعلاه، كما في قوله تعالى: ﴿ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم ﴾ [الأعراف: 185] فتقليب النّظر في السّماوات والأرض، وفي الخلق عامّة لا تخفى على عاقل وانعدام الإيمان بعد هذا الفعل

---

76. التّحرير والتّنوير: 9/ 194.
77. التّحرير والتّنوير: 16/ 334.
78. التّحرير والتّنوير: 9/ 194-195.
79. التّحرير والتّنوير: 9/ 196-198.

مدعاة للعجب. من أفعال التّدبر أيضا الاسترشاد بالذّكرى منفيا، وقد تقدّمها أيضا حرف العطف كما في قوله تعالى: ﴿يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴾ [مريم: 67] فالواو ربطت ما بعدها بقوله تعالى: ﴿نى ني هج هم هى هي يج يح﴾ [مريم: 66] والاستفهام في الآية الأخيرة قول صادر عن منكر للبعث، وهو ما أكد معنى الإنكار والتّعجيب[80] من الله تعالى في الآية المتقدّمة لوجود الظّرف (من قبل) ولتقييد الاستفهام بالحالّ (ولم يكن شيئا" بوصفهما ناسخين دلاليين مؤكدين لمعنى التّعجيب المخالطّ للإنكار الذي دعمه الإنكار السّابق له في الاستّفهام الصّادر عن الإنسان مجازًا، فتناسخ الاستّفهامان لإنّشاء التّعجيب)[81] ويُلاحظ في الآيات محلّ الشّاهد أنّ الاستفهام قد دخل على جملة فعليّة منفيّة مصدّرة بحرف عطف، وكما هو معلوم أنّ الاستفهام إذا دخل على نفي خرج عن أصل دلالته إلى إفادة التّقرير، أي أن يُحمل المعنيُ بالخطاب على الإقرار بما بعد النّفي، ولأن الأفعال ههنا تدعو إلى التّفكّر وقد سُبقت بحرف من حروف العطف أفاد هذا التّوزيع التّعجيب بعد ربط الجملة المستفهَم عنها بما تقدّمها من كلام، ويكون هذا الرّبط ربط تفكّر بعد تحليلٍ لعناصر الصّورة الإجماليّة.

و-الاستفهام الدّاخل على الفعل (رأى): تكثّر في القرآن الكريم الدّعوة إلى التّدبّر بدخول الاستّفهام بالهمزة على فعل **الرّؤية**؛ لهذا فُصّل في الدّراسة عن أفعال التّدبّر السّابقة الذّكر لتعد د بناه، خاصّة أنّ للفعل "رأى" دلالتين (الإبصار والعلم) وغالبا يأتي التّعجيب[82]

---

80. التّحرير والتّنوير: 16/ 145.

81. الصّافي خديجة، **نسخ الوظائف النّحوية في الجملة العربيّة**، ط1، دار السّلام، 2008: 118-119.

82. وصف ابن عاشور التّركيب: (أرأيت) بأنّه كلمة تعجيب مهما اختلفت توزيعات بنيته، يُنظر: التّحرير والتّنوير: 446/30.

بهذه البنيذة وقد تعدى الفعل (رأى) بحرف الإضافة (إلى) مضافا إلى اسم موصول مفيدٍ التّعميمَ، وتأتي صلّته لإحداث تلك الغرابة في النّفس، فيتولّد بذلك التّعجيب. ولأصل في فعل الرّؤية البصريّة أن يتعدى إلى المفعول به تعديّة مباشرة بلا حرف الإضافة (إلى) نحو: (رأى زيد شخصا غريبا) ومن أجل إنشاء التّعجيب يتعدى هذا الفعل بإلى ويُقيِّد حالا صريحة أو يتعلّق به تعليل هو مثار العجب، فالشّاهد على تعلّق الحالّ بالفعل (رأى) قوله تعالى: ﴿كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح﴾ [النّساء: 44]، فـالتّعجيب من حالهم بقال تعالى: ﴿ مج مح﴾ يراه (ابن عاشور) من إنزال الحالّ غير المرئية منزلة الحالّ المشاهدة بالبصر لشّهرة الشّيء وتحقّقه[83]، وذلك أنّ أهل الكتاب– على أحد التّفاسير – قالوا لكفار قريش (أنتم أهدى من الذين آمنوا بمحمّد سبيلا، أي أقوم دينا وأرشد طريقا)[84]. أما الشّاهد على تقييّد الفعل (رأى) بلام تعليل قوله تعالى: ﴿ىٰ ٌّ ٍّ ُّ ِّ ئر ئز ئم ئن ئى﴾ [البقرة: 258] فهذا الكلام يحمل المتلقي للخطاب على التّعجّب من نمرود وحماقته، فكان قوله تعالى: ﴿ئز ئم ئن ئى﴾ مثيرا للعجب؛ لأنّ الله قد آتى نمرود الملك، وما كان من نمرود إلاّ أن يحاج في صفات الله إعجابا بنفسه وشكرا على طريقة العكس، فحُذفت لام التّعليل قبل (أن) يقول (ابن عاشور)؛ (تعلّيل محض وليس عِلَّةً غَائِيَّةً مَقْصُودَةً لِلْمُحَاجِّ مِنْ حِجَاجِهِ... أَيْ حَاجَّ لِأَجْلِ أَنَّ اللَّهَ آتَاهُ الْمُلْكَ، فَاللَّامُ اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ لِمَعْنًى يُؤَدَّى بِحَرْفٍ غَيْرِ اللَّامِ، وَالدّاعِي لِهَاتِهِ الِاسْتِعَارَةِ التّهَكُّمُ، أَيْ أَنَّهُ وَضَعَ الْكُفْرَ مَوْضِعَ الشّكْرِ كَمَا فِي أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يم يى يي ذٰ﴾ [الْوَاقِعَة: 82] [85]، فقارب معنى الآية

83. التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 5/ 71.

84. الشّوكاني محمّد، **فتح القدير**، تح: أحمد عبد السّلام، ط1، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلام الطّيّب 1414: 1/ 390.

85. التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 3/ 32.

قولك: (عاديتني لأني أحسنت إليك) فتُظهر أنّ موجب العداوة كان الإحسان والأصل أنّ الإحسان يوجب الموالاة[86]. قد يأتي فعل الرّؤيّة البصريّة مسبوقا بحرف عطف، وقد دخل عليه الاستّفهام بالهمزة كما في قوله تعالى: ﴿ هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴾ ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز [سبأ: 9] فالاستفهام هنا للتّعجيب الذي يخالطّه إنكار على انتفاء تأملهم فيما بين أيديهم وما خلفهم من السّماء والأرض؛ فجيء بالفعل (رأى) منفيًّا، إثباتًا من الله عزّ وجل لحالهم تلك في ابتعادهم عن التّدبر في ملكوت الله [87]، أما عن الرّؤية القلبيّة على هذه البنية فمنه قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ ممً [مريم: 77] واستفهام إنكاري تعجيبي[88].

ز- الاستفهام الدّاخل على الفعل (دلّ) وقد تعلّق به ما خفي عن المخاطب: مع أنّ الفعل (دلّ) من أفعال الاسترشاد، إلاّ أنّها قد تفرّدت عن أفعال التّدبّر والتّفكر السّابقة الذّكر في قربها من الحقّيقة؛ إذا دخل عليها استفهام وقد تعدى الفعل بحرف الإضافة (على) وكان الاسم المجرور المتعلِّق به أعجوبة في نظر المخاطَب، يحدث حينئذ التّعجيب كما حدث عند ادّعاء المشركين الإنباء بالبعث قال تعالى: ﴿ فخ فم قح قمً [سبأ: 7] في قوله تعالى: ﴿ ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم لخ لم لى لي مج مح مخ ممً مى مي نج نح نخ نم نى ني هجً [سبأ: 7-8] فلم يكن غرضهم الإرشاد حقّيقةً، بل حرصوا على حمل المخاطب على التّعجيب من هذا النّبإ، أي (هل ندلّكم على أعجوبة من رجل ينبئّكم بهذا النّبأ المحال)[89] أي بالبعث، وقد

---

86. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنّزيل، أبو القاسم الزّمخشريّ: 1/ 305.

87. التّحرير والتّنّوير، الطّاهر بن عاشور: 22/ 152.

88. التّحرير والتّنّوير: 28/ 29، 48.

89. التّحرير والتّنّوير: 22/ 147.

وصفه (ابن عاشور) بالعرض[90] التّعجيبيّ، لأنّه قد يظهر العرض[91] دون التّعجيب كما في قوله تعالى: ﴿لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم﴾ [طه: 120] لأنّه أنسب المعاني –كما يرى (ابن عاشور) – للاستفهام لقربه من حقّيقته وهو الطّلب، ولأنّ هذا الخطاب كان في الجنّة، وقد اختلف الزّمان والمكان عن الحقّيقة في الدّنيا، فلربّما لم يكن عجيبا بالنّسبة لآدم عليه السّلام أن يرى مثل هذه الشّجرة في الجنّة، وكلّ شيء فيها سرمدي، والله أعلم.

ح- **الاستفهام المسبوق بتنبيهٍ:** ومن آليات التّنبيه في القرآن الكريم توظيف الفعل (قل) المعلّق عن العمل قبل الاستّفهام المجازي نحو قوله تعالى: ﴿سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم﴾ [يونس: 50] وقد تُوظّف للتنّبيه أيضا الأفعال الدّالة على التّدبّر والتّفكّر، وذلك قبل الاستّفهام المجازي؛ كتوظيف الفعل (نظر) على صيغة الأمر بمعنى الحثّ على إعمال البصيرة زيادة على إعمال البصر، وقد استُفهم عن حال بـــ (كيف) نحو قوله تعالى: ﴿ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم﴾ [الأنعام: 24] ففي الآية الكريمة يُعمل المخاطب عقله ليتدبّر في ما آلتّ إليه حال من أعرض عن الحقّ وجنف، وقد وضُحت الحقّيقة فيتعجّب من غفلتهم وربّما اعتبر واتّعظ.

يعد النّداء أيضا من آليات التّنبيه البيّنة لأنّه في هذا الغرض قد يتضمّن وصفا للمنادى؛ فإذا أُتبع النّداء باستفهام مجازي، وغالبا ما يكون مسبوقا بلام التّعليل، صُرف المعنى إلى التّعجيب لانتفاء الصّفة المنادى بها مع مدخول الاستّفهام، كانتفاء العلم بما هو

---

90. العرض: "طلب الشّيء برفق، كقولك لمن تراه لا ينزل: (ألا تنزل تصب خيرا) أي "إن تنزل تُصب خيرا" مغني اللّبيب: 1/ 395.

91. التّحرير والتّنوير: 16/ 325.

في الكتاب من أوامر ونواهٍ؛ لدخول الاستفهام على ما يشير إلى الجمع بين المتناقضات كالجمع بين التّحاج مع انعد ام العلم، وبين الحقّ والباطل وبين الكفر والشّهادة، وبين الصّدود والشّهادة كما في قوله تعالى في الآيات تباعا: ُّثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نرَّ [آل عمران: 65] وقوله أيضا: قَالَ تَعَالَىُّلخ لم لى لي مج مح مخ مم مى ميَّ[آل عمران: 71] وقوله ُّله مج مح مخ مم نج نح نخَّ[آل عمران: 70] وقوله أيضا: ُّغج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كا كم لجلح لخ لم له مج محَّ [آل عمران: 99].

ونلاحظ أنّ الاستفهام في الآية الأولى كان مقيّدا بجملة حاليّة قد أفادت الحصر وقد أُتبِع هذا الاستفهام باستفهام مجازي آخر يحثّهم على التّفكّر في قوله تعالى: ُّمم نرَّ [آل عمران: 65]، ثمّ أُتبعت هذه الآية أيضا بما يفيد التّنبيه أيضا على حال مستغربة؛ بالهاء قبل ضمير المخاطب "أنتم" وهو مبتدأ، وبالتّنبيه باسم الإشارة وقد دخلتها الهاء أيضا في الخبر، في قوله تعالى: ُّنم نن نى ني ىٰ ير يزَّ [آل عمران: 66]. وتقدّم في الآية السّابقة بيان أنّ اسم الإشارة يوظّف للتّنبيه أيضا، فإذا أُردف باستفهام مجازي نحو قوله تعالى: ُّتم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثيفى في قىَّ [غافر: 62] دلّ على التّعجيب والمعنى يقول (سيد قطب) (وإنّه لعجيب يستحقّ التّعجيب أنّ يرى النّاس يدّ الله في كلّ شيء ويعلموا أنّه الخالق لكلّ شيء معرفة حتّمية مفروضة على العقل فرضاً بحكم وجود الأشياء, واستحالة ادّعاء أحد أنّها من خلقه وعدم استقامة القول بأنّها وجدت من غير موجد. عجيب يستحقّ التّعجيب أنّ يكون هذا كلّه، ثمّ يصرف النّاّس عن الإيمان والإقّرار)[92].

92. **سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشّروق:** 5/ 3094.

ط- الاستفهام والعطف: من سنّن العرب في كلامها أن يتوسّط حرف العطف بين همزة الاستفهام والمُستفهم عنه لإنشاء التّعجيب وقد لوحظ تنوّع في الجمل المستفهَم عنها؛ بين جمل فعليّة مقيّدة بحال جملة- غالبا -وقد سُبقت بحرف العطف، وبين جملة شرطيّة قد تقدّمها حرف عطف؛ فمن النّمط الأول قوله تعالى: ﴿هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رّ [الأعراف: 97] وقوله أيضا ﴿ئر ئز ئم ئن [الأعراف: 98] وقوله تعالى: ﴿كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم [الأنعام: 114] وقوله أيضا: ﴿صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج [البقرة: 75] فالحالّ في الآيات هي على التّوالي: قوله تعالى: ﴿ذٰ رّ ﴿ئز ئم ﴿كي لم لى لي ما مم نر [الأنعام: 114] ﴿ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج [البقرة: 75] وقد أسهم في الحالّ الأخيرة محلّ تعجيب، كون خبر كان جملة فعليّة مقيّدة بجملة حالية أيضا. أمّا عن النّمط الثّاني من هذا التّوزيع، وهو دخول الاستفهام على حرف عطف وقد تقدّم جملةً شرطيّة، فالشّاهد فيه قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ﴾ [البقرة: 87] وقوله تعالى: ﴿عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ﴾ [يونس: 51] وقوله: ﴿لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم﴾ [الأنعام: 122]. فـ (كلّ ما) وإذا و(من) أسماء شرط وعلاقة فعل الشّرط بجوابه في هذه الآيات سببية حقّيقةً أو مجازا، وكان دخول الاستفهام عليها وقد رُبطت بما تقدّمها من كلام بحرف العطف -الفاء في الأولى و(ثمّ) في الثّانيّة، و(الواو) في الثّالثة - سببا في تصنيف هذه البُنى ضمّن الاستّفهام المجازي، يقول (ابن عاشور): "وقد استقريت هذا الاستّعمال فوجدت مواقعه خاصّة بالاستّفهام غير الحقّيقيّ

كما رأيت من الأمثلة، ومعنى الفاء هنا تسبّب الاستفهام التّعجيبي الإنكاري"[93]، والمعنى: (أتزيدون على مخالفتكم استكباركم كلّ ما جاءكم رسول) وهذا متأتٍ في حروف التّشريك الثّلاثة كما تقدّم، إذن يكون الإنكار في هذه البنى تعجيبا؛ تعظيما لفعلٍ ما (لِم كان!؟) مع توبيخٍ لفاعله، أو نفيا لأن يكون الفعل قد كان من أصله، وهذا أقصى درجات التّعجيب لادّعاء ما يستحيل أن يكون قد كان، كما في قوله تعالى: ﴿يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٍّ ﴾ [الإسراء: 40] [94].

ي- دخول الاستفهام على الشّرط المعلّق: بعد استعرض بنية التّعجيب في الاستفهام الدّاخل على حروف العطف تبيّن أنّه قد تلي هذا الحرف جملة شرطية، تتغيّر -على هذا التّوزيع- علاقة الشّرط بجوابه فيها، وربّما قد يُعلّق الشّرط في الأساس، فلا يحتاج إلى جواب، وذلك بحرفي الشّرط (إن) و(لو) فالشّرط ب (إن) يفيد الاحتمال، والعرب تأتي بـــ (إن) في الشّرط نادر الحصول، وإذا امتنع حصوله في نفس الأمر جاؤوا بـــ (لو) للدّلالة على أنه قريب من الممتنع عن طريق المجاز المرسل بالتّبعية، والهمزة مستعملة فيه للإنكار كناية وللتّعجيب إيماءً، [95] نحو قوله تعالى: ﴿ني هج هم هى هي يج يح يخ﴾ [البقرة: 170] تُوظّف (لو) و(إن) في مثل هذه التّراكيب حينئذ لمجرد الوصل والرّبط في مقام التّأكيد كما يراه التّفتازاني؛ فالشّرط حينئذ هو أقصى الأحوال التي يحصل معها الفعل الذي في جوابها المفهوم من سياقٍ مُتقدّم، تقديره: (لاتّبعوكم) بدليل قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لخ لم

93. التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 1/ 597.

94. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 90.

95. التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 2/ 106.

لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نمَّ [البقرة: 170]، والهمزة للاستّفهام عن علاقة الشّرط بجوابه [96].

اختلف المفسرون حول الواو المتقدِّمة على (لو) فرأى الزّمخشري أنّها للحال (محلّ الإنكار)[97] وهي لعطف جملة على جملة عند ابن عطيّة[98]، وأضاف ابن عاشور أنّها للاستئناف البياني (عبّر عنه الرّضي بالاعتراض) والشّرط فيه ضعيف (إذ ما بعد الواو من جملة الكلام الأوّل غير أنّه جواب سؤال يخطر ببال السّامع)[99] وقد جمع (أبو حيّان) بين رأييّ كلّ من الزّمخشري وابن عطيّة بقوله: هذه الجملة المصحوبة بـــ (لو) في مثل هذا السّياق، هي جملة شرطيّة فإذا قال: (ضرب زيداً ولو أحسن إليك) المعنى: وإن أحسن... وتجيء (لو) هنا تنبيها على أن ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها، لكنها جاءت لاستقصاء الأحوال التي يقع فيها الفعل، ولتدلّ على أنّ المراد بذلك وجود الفعل في كلّ حالّ حتى في هذه الحالّ التي لا تناسب الفعل؛ ولذلك لا يجوز: اضرب زيداً ولو أساء إليك... فإذا تقرّر هذا فالواو في (ولو) في المثل التي ذكرناها عاطفة على حالّ مقدرّة، والعطف على الحالّ حال، فصحّ أن يقال: إنّها للحال من حيث إنّها عطفت جملة حالية على حال مقدرّة والجملة المعطوفة على الحالّ حال [100]. يرى (أبو حيّان) أنّه لا يجوز حذف هذه الواو الدّاخلة على (لو) تنبيهاً على أنّ ما بعد ها لم يكن يناسب ما قبلها وهذا ما شاع استخدامه في أسلوب التّعجيب بإيراد المتقابلات في سياق واحد؛ فالضّرب ليس جزاءً

96. التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 2/ 109.
97. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنّزيل، أبو القاسم الزّمخشري: 1/ 213.
98. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزّيز، ابن عطيّة الأندلسيّ: 1/ 238.
99. التّحرير والتّنوي، الطّاهر بن عاشور: 2/ 108.
100. البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ: 2/ 103.

للإحسان، وإنّما الإحسان من ضمّن كلّ الأحوال التي قد تصدر عن زيد، وإذا حدث هذا الأمر (الضّرب جزاء الإحسان) وهذا ما أفاده دخول الواو على (لو) فلو لم يتحقّق هذا الدّخول لكان معنى (لو) الشّرط، أي: (اضرب زيدا لو أحسن إليك) فما بعد (لو) مدعاة للتعجب، وتكون دلالة الاستفهام حينها على التّعجيب، وذلك من أجل وضع المعني بالخطاب في حالة شعورية؛ بتنبيههم وهم يُقلِّدون من غير تحكيم للعقل في ما يفعلون، فإذا منّ الله عليهم بالهداية استغربوا مما هم عليه فانتابهم انفعال؛ قد يكون سببا في تحسين حالهم، فمعنى الاستفهام في الآية الكريمة:" أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدّين ولا يهتدون للصّواب [101] أو: ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون لا تّبعوهم[102] ونظير هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر﴾ [لقمان:21] ليظهر أنّ (لو) بعد العطف والاستفهام في هذا التّركيب يسبقها غالبا شرط بـــ (إذا) يكون هذا الاستفهام مبيّنا للجواب الذي يحدث معه التّعجيب فالمعنى: (وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله، اتّبعوا الشّيطان الذي يدعوهم إلى السّعير). قد يكون الخطاب وفق هذا التّوزيع (همزة استفهام + حرف عطف + لو) صادرا عن المتكلّم، وفي هذه الحالّ، يدلّ الاستّفهام على التّعجّب وليس على التّعجيب؛ منه قوله تعالى: ﴿لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ﴾ [الأعراف: 88] فالاستّفهام مستّعمل في التّعجّب، "وذلك التّعجّب تمهيد لبيان تصميمه ومن معه على الإيمان ليعلم قومه أنّه أحاط خبراً بما أرادُوا من تخيّره والمؤمنين معه بين الأمرين: الإخراج أو الرّجوع إلى ملّة الكفر[103] وربّما عبّر الزّمخشري عن التّعجيب في الآية

101. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، أبو القاسم الزّمخشري: 1/ 213.

102. التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 2/ 106.

103. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، أبو القاسم الزّمخشري: 2/ 130.

المذكورة بالتّعجّب تجوّزا على اعتبارهما من مادة لغويّة واحدة، وعلى أنّ التّعجيب ليس مصطلحا ههنا بينما هو المتوخى من الفعلين، ففي التّعجّب يحدث تعجيب للنّفس، وفي التّعجيب نقل لهذا الفعل إلى شخص آخر. أما عن الشّاهد على دخول الاستفهام على الشّرط المعلّق، فمنه قوله تعالى: ﴿خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ﴾ [الرّعد : 5] فالفعل (تعجب) في هذا السّياق لا يقصد تعلقه بمعمول معين فلا يقدر: إنّ تعجب من قول أو إنّ تعجب من إنكار، بل ينزل الفعل منزلة اللّازم ولا يقدر له مفعول، والتّقدير: إن يكن منك تعجب فاعجب من قولهم... الخ [104] العجب ثابت بدليل قولهم: ﴿سم صح صخ صم ضج ضح ضخ﴾ سواء عجب منه المتعجب أم لم يعجب، (ولكن المقصود أنّه إنّ كان اتصاف بتعجب فقولهم ذلك هو أسبق من كلّ عجب لكلّ متعجب) وقوع الفعل في سيّاق الشّرط يفيد العموم كما إذا وقع في سيّاق النّفي وفائدته التّشويق لمعرفة المتعجب منه تهويلاً له أو نحوه، وهذا ما أفاده التّنكير في قوله: ﴿سحً﴾.[105]

ك- توالي الاستفهامات المجازيّة: يكثر في التّحاج توالي الاستفهامات المجازية وقد توفّرت كلّ عناصر بنى التّعجيب السّابقة الذّكر، أو توفّر بعضها؛ من ذلك أن يتقدّم التّنبيه هذه الاستفهامات، وإذ يكون أوّل استفهام منها داخلا على حرف من حروف العطف غالبا ما يكون الفاء المفيد للتّفريع أو الواو، وبسبب هذا التّوزيع يخرج الاستفهام الأوّل إلى معنى التّعجيب لأنّ ما بقي من استفهامات متعلّق به نحو قوله تعالى: ﴿بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم﴾ [الزّمر: 38] فالفاء ربطت عبادة غير الله بإقرارهم المتقدّم

---

104. التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 13/ 89.

105. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، أبو القاسم الزّمخشري: 2/ 513، البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي:6/ 351، التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور: 13/ 89.

بحقّ توحيد الله، وهو الخالق، إذ سُئلوا في قوله تعالى: ﴿يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه﴾ [الزّمر: 38] ومن الاستفهامات المتتّابعة لإنشاء التّعجيب قوله تعالى: ﴿ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم﴾ [الواقعة: 58–59] وقوله أيضا: ﴿لي ما مم نر نم نن نى ني﴾ [الواقعة: 63–64] وقوله أيضا: ﴿به بم تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم﴾ [الواقعة: 68–69] وقوله أيضا: ﴿صم ضج ضح ضخ طح ظم عج عم غج غم﴾ [الواقعة: 71–72]. لوحظ أنّ تتابع الاستفهامات قرينةٌ واضحة على التّعجيب، خاصّة ما أشار منها إلى الأحوال؛ صراحةً بـــ (كيف) نحو قوله تعالى: ﴿فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مجمح مخ مم نج نحنخ نم نه هج﴾ [الأنعام: 81]، وقد تمّ بيان ما بقي من قرائن على التّعجيب في هذا الشّاهد ويمكن لهذه الاستفهامات أن تتضمّن حالا نحو قوله تعالى: ﴿ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئهبج بح بخ﴾ [البقرة: 44] أوأن يكون الحالّ كناية بأحد أدوات الاستفهام الخارجة عن أصل دلالتّها؛ من ذلك قوله تعالى ردا على المشركين وتكذيبا لادّعاءاتهم بالحجج الدّاحضة: ﴿له مج مح مخ﴾ [الصّافات: 153] وكلّ هذه الشّواهد تم بسط الحديث عنها. ففي الآية الأولى ظهر استنكار واضح لحال المشركين، فقُدِّمت المتقابلات لإرغام المخاطب على الخضوع للتّعجب لاستحالة المقارنة بين ما يدّعون من آلهة، وبين المعبود حقّا الله عزّ في علاه، وهذا ما أكّد الاستفهام الأخير: ﴿فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مجمحَ [الأنعام: 81] ﴿مخ مم نج نحنخ نم نه هج﴾، أما الآية الثّانيّة فكان الجمع بين الحالّين الجملتين المتعارضين عقلا: قَالَ تَعَالَى: ﴿ئج ئحَ ئخ ئم ئهبج بحَ بخ﴾ [البقرة: 44] ﴿ئخ ئم ئهبجَ بحَ بخ﴾ مدعاة للتّعجّيب خاصّة بعد تعقيبه (أي الاستفهام) باستفهام يحثّهم على التّفكّر وقد نُفي عنهم العقل في ﴿بجَ بحَ بخ﴾ لحثّهم على التّدبّري (تدبّروا).

أما الآية الثّالثة فقد مثّلت التّعجيب من الأحوال بما يدلّ عليها كنايةً، كان أوّل الاستفهامات قوله ﴿ له مج مح مخ﴾ [الصّافات: 153] وهو ما كان بؤرة التّعجيب، ليتلوه قوله تعالى: ﴿ ﴾ للإنكار على المشركين، ثمّ جيء بالاستفهام الثّالث لزيادة التّعجيب استنكارًا لهذه الحالّ صراحة بـــ (كيف) في قوله تعالى: ﴿لى لي﴾ [الصّافات: 154].[106] قد تأتي الاستفهامات متتابعة لغرض التّعجيب بعد الفعل المعلّق عن العمل (قل) لأنّه لا يُنتظر بعد ه أن يكون هناك قول، بل جيء به في القرآن غالبا في مثل هذا السّياق لغرض التّبكيت عند المحاجة؛ ليكون أوّل هذه الاستفهامات بالهمزة مع المخاطبة بفعل الرّؤية مثبتا حيث إنّ معموله شرط، والثّاني استفهام تصوريّ – غالبًا – هو جواب للشّرط ليُتبع الاستفهامان بجواب مصدّر بـــ (قل) أيضا، من ذلك قوله تعالى: ﴿نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ﴾ [الملك: 28] فالاستفهام الأوّل يبدأ بـــ ﴿ني﴾ والثّاني تصوريّ يبدأ بـــ: ﴿يم يى﴾ وكان الجواب وهو قوله تعالى: ﴿ ئر ئز﴾ [الملك: 29] مُلزما للمنكر أن يقف متعجبا من حاله، وقد خوطب بعد ها – مع التّأكيد بالسّين (وهي لتأكيد الفعل مستقبلا) بـــ: ﴿ ئر ئز﴾ ﴿ئن ئى ئي بر بز بم﴾ ومثل هذا التّوزيع كثير في القرآن[107] إلاّ أنّ الاستفهام التّصوري منه قد يكون بـــ (ماذا) نحو قوله تعالى: ﴿سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم﴾ [يونس: 50] وقد يكون الاستفهام تصديقيا بالهمزة نحو قوله تعالى: ﴿ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح﴾ [الأنعام: 40] أوبـــ (هل) نحو قوله تعالى: ﴿ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم﴾ [الأنعام: 47] قد يتكرّر الفعل (قل) أوما يقوم مقامه من أفعال تومئ إلى التّعجيز في سياق التّحاج، وقد تتابعت الاستفهامات المجازية، ليجد المخاطب نفسه حينها

106. البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ: 9/ 127.

107. الملك 29، 30، الفرقان 43 ، والعلق 9، 11، 13.

يتأرجح بين إجابات كانت بمنزلة المُسلّمات عنده، وبين حقائق ثابتّة لا يمكن للعقل إنكارها لوضوح الحجج. فمن تكّرار الفعل (قل) قوله تعالى: ﴿نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم﴾ [يونس: 59] وقد يسدّ مسدّ هذا الفعل (قل) في مثل تلكم السّياقات الفعل (نظر) في الأمر أي (انظر) كما في قوله تعالى: ﴿نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ﴾ [الأنعام: 46] والفعل (رأى) في الأمر كذلك (أروني) كذلك قوله تعالى: ﴿ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح﴾ [الأحقّاف: 4]. ويمكن توظيف حرف العطف المتوسّط بين همزة الاستفهام ومدخولها في الاستفهامات المتتّابعة عوضا عن الفعل (قل) كما في الآيات المتقدّمة نحو قوله تعالى: ﴿بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي﴾ [العنكبوت: 67] وقوله تعالى: ﴿في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني﴾ [العنكبوت 68] فموقع الحرفين (الواو، والفاء) في الاستفهامين الأوّل والثّاني أحدث تنبيها كالفعل (قل) على ما استُنكر من أفعال المشركين من أهل مكة وقد خصّهم الله بالأمن خلافا لمن يسكن خارج مكة، ومع ذلك هم يشركون، فهذا تذكير لهم حتى يعجبوا من سوء تقديرهم للأمور وقد كذّبوا بالله، لأنّ مصير الكفار النّار كما أفاده الاستفهام التّقريري: ﴿في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني﴾ [العنكبوت 68] مثل هذه الاستفهامات كثير في القرآن[108] أغلبها يبدأ بتنبيه كما تمّ بيانه. قد ينوب عن الفعل (قل) أيضا الفعل (قال) غير أنّه يأتي متبوعا بتنبيه بالنّداء على التّوزيع المذكور سابقا نحو قوله تعالى: ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ﴾[هود: 63] وقوله أيضا: ﴿قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح

108. العلق 9، 11، 13، الأحقاف 23، الجاثية 23، القصّص71، القصص 72.

مخ مم نج نح نخ [هود 28] فالتّنبيه كان بندائهم بـــ (يا قوم) ثمّ أُتبِع باستفهامات مجازية لم تخرج عن دلالة الاستنكار المثير للتّعجيب. إذن، يكثر هذا النّوع من الاستفهامات المتتّابعة في سياق التّحاج من أجل التّضييق على المُنكر، فيقف الجرجاني –مثلاً – متأمِّلا شاهدا قرآنيا على هذا، وهو قوله تعالى: ﴿نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي﴾ [الأنعام: 143] ليقول (الجرجاني) مبيِّنا سبب إنكار التّحريم ههنا: وذلك إن كان الكلام قد وُضع على أن يجعل التّحريم كأنّه قد كان، ثمّ يُقال لهم: أخبرونا عن هذا التّحريم الذي زعمتم فيم هو؟ أفي هذا أم ذاك أم في الثّالث؟ ليتبين بطلان قولهم... ومثل ذلك قولك للرّجل يدّعي أمرا وأنت تنكره: متى كان هذا؛ أفي ليل أم نهار؟... لكي تضيِّق عليه. [109]فوضع هذه الخيارات من أجل التّضييق على المخاطب استعانة بحرفيّ العطف (الواو وأم) دليل على التّعجيب من حالهم، وإن لم يوجد الحالّ بمعناه الوظيفيّ في كلّ الآيات السّابقة الذّكر، لكن وُجد ما يُنبئ عن تلكم الأحوال المستنكرة في استفهامين متواليين في قوله تعالى: ﴿لخ لم لى لي﴾ على ما سيأتي بيانه لاحقّا.

خلاصة: من خلال النّقاط المعروضة في البحثّ نستنتج ما يلي:

1–التّعجيب ظاهرة لغويّة قد أشار إليها لغويونا عرضا في أبواب متناثرة، والملاحظ أنّ هذا المصّطلح لم يستقر فسُمِّي بالتّعجّب أحيانا بجامع المادة اللغويّة (ع ج ب) ووُصف أحيانا أخرى بالإنّكار والاستبعاد، ومعلوم أنّ هذين المعنيين (الإنّكار والاستّبعاد) من عوامل التّعجيب والتّعجّب معا، لكن بمراعاة مُنشئه.

2–يشترك التّعجيب والتّعجّب في كونهما أساليب إفصاحية، غير أنّ التّعجّب يكون صادرا عن المُنفعِل المُفصِح، والتّعجيب يتعدى المُفصِح إلى الآخر؛ فيحمله على الانفعال

109. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 90–91.

تعجبا، ولا يُشترط في التّعجيب أن يتأثّر المنشئ له، بل الهدف التّأثير في الآخر حتى يتعجّب ويتحقّق الغرض من التّعجيب؛ كالحفز والتّرغيب والتّشويق والتّهديد..وهلم جرا.

3-يشترك التّعجيب والتّعجّب في صيغة (ما أفعله!) ويرجع تعيين أيهما المقصود بدلالة السّياق، فإن كانت هذه الصّيغة من كلام الله حُمّلت على التّعجيب.

4-شاع عند النّحاة واللغويّين عامّة جعلُ (أفعل به!) من صيّغ التّعجّب، غير أنّنا أشرنا إلى أنّ هذه الصّيغة من الصّيغ القياسيّة التي ينفرد بها أسلوب التّعجيب، وبذلك نبتعد عما أُثير حولها من جدال.

5-يُردُّ التّعجيب وظيفيا إلى دلالة الإنّكار في الاستفهام المجازي، فكان الاستفهام خير معبِّر عن هذه الظّاهرة لتضمّنه السّؤال عمّا يُجهل سببه، فإذا عُرف السّبب بطُل العجب.

6-يقع التّعجيب دائما بالأحوال، لهذا لا يخلو الاستفهام المنبئ عن هذا الانفعال من دلالة الحالّ الصّريحة منها (الحالّ المفردة أو الجملة) أو الضّمنية (ما يشترك مع الحالّ كالخبر والصّفة).

7-يتضمّن الاستفهام المجازي المنشئ للتعجيب قرائن شبه مستقرّة في كلّ بُناه كتعليق الأفعال من مثل أفعال التّدبّر والتّفكّر (رأى بمعنييه البصري والقلبي، هدى، وهلم جرا) وتعليق الوظائف العامّة (الأساليب) كتعليق الشّرط بحذف جوابه أو تغيّر اتّجاه العلاقة التي تربطه بجوابه.

8-أبرز آلية في وظيفة التّعجيب هي التّنبيه، وقد تكرّر توظيفه في القرآن استعانةً بالفعل (قل) وبالنّداء، وباسم الإشارة، وبالاسم الموّصول، وبحروف العطف الدّاخل عليها

الاستفهام، وبالجمع بين المتقابلات في سياق واحد، وقد تنفرد كلّ آليّة بسياق خاصّ، وقد تجتمع كلّها لتّحقّيق التّعجيب في سياق التّحاج غالبا.

9-من آليات التّنبيه أيضا لإحداث التّعجيب تتابع الاستفهامات المجازية في سياق واحد.

10-تنوّعت بُنى التّعجيب بالاستفهام بالهمزة لأنّها أصل الأدوات.

11- قد يأتي التّعجيب بغير ما ذُكر في هذا البحثّ، استعانةً بالقصد في الأساليب الخبرية (الخبر بُناه عديدة لا يمكن حصرها) كتصدّر التّنّبيه للجملة الخبريّة، وحكاية الخبر المستغرَب؛ كأن أُخبِر طفلا صغيرا عن شيء يرى تحقّقه مستحيلا، فيتفاعل الخبر مع نفسه إنكارا، فإعجابا؛ نحو قولي لمن يثق بي: (اشترى لك والدك صحنا طائرا) أو(القصّة التي أُعلن عنها في التّلّفزة عندي) فالصّحن الطّائر والقصّة كان امتلاكهما عند الطّفل مستبعدا ولكون الخطاب صادرا عن موثوق به غير منفعل تعجّبا من الخبّر، زال الإنّكار المحض عند الطّفل، وحدث التّعجيب.

حاول هذا البحثّ سبر البنى الدّالة على التّعجيب في القرآن الكريم، ويبقى جهد الإنسان دائما محدودا قد يعتريه النّقص، لهذا يمكن أن تفتح هذه المحاولة بأخطائها باباً لكلّ من يحمل حبّا لهذه اللغة، ويسعى لإعلاء شأنها بالكّشف عن خباياها المكنونة التي رفعتها وميّزتها عن كلّ اللغات، وربّما كانت وظيفة التّعجيب من تلكم الدّرر.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

1-ابن الحاجب جمال الدّين، 2010، **الكافية في علم النّحو**، تح: صالح عبد العظيم الشّاعر، ط: 1 القاهرة، مكتبة الآداب.

2-ابن عاشور محمّد الطّاهر، 1984، **التّحرير والتّنّوير "تحرير المعنى السّديد وتنوّير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، تونس، الدّار التّونسيّة للنّشر.

3-ابن عطية الأندلسيّ، 1422، **المحرّر في تفسير الكتاب العزّيز**، تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة.

4-ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين، 1414، **لسّان العرب**، ط3، بيروت دار صادر.

5-ابن هشام جمال الدّين، **مغني اللبيب**، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، مكتبة الصّادق.

6-الإستربادي محمّد الرّضي، 1417/ 1966، **شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب**، الرّياض، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسّلاميّة.

7-الأندلسيّ أبو حيّان، 1420، **البحر المحيط**، تح: صدقي محمّد جميل بيروت، دار الفكر.

8-البيضاوي أبو سعيد، 1418، **أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل**، تح: محمّد عبد الرّحّمن المرعشلي، ط1 بيروت، دار إحياء التّرّاث العربيّ.

9-الجرجاني عبد القاهر، 1419/ 1998، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تح: محمّد رشيد رضا، ط1 بيروت، دار المعرفة.

10-جلال الدّين القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تح: محمّد عبد المؤمن خفاجي، ط:3، دار الجيل.

11-حسان تمام، 2004، **اللغة العربيّة معنها ومبناها**، ط4، بيروت، عالم الكتب.

12-الزّجاج أبو إسحاق، **معاني القرآن وإعرابه**، تح: عبد الجليل عبده الشّلبي، ط1، بيروت، عالم الكتب.

13-الزّمخشريّ أبو القاسم جار الله، 1407، **الكشّاف عن حقّائق غوامض التّنزيل**، ط3، بيروت، دار الكتاب العربيّ.

14-سيبويه عمرو بن عثمّان، 1988/1408، **الكتاب**، تح: عبد السّلام محمّد هارون، ط3، القاهرة مكتبة الخانجي.

15-السّيوطي جلال الدّين، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ض: أحمد شمس الدّين، بيروت، دار الكتب العلميّة.

16-السّهيلي أبو القاسم، **نتائج الفكّر في النّحو**، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، بيروت، دار الكتب العلمية.

17-إبراهيم السّامرائي، 1403/ 1983، الفعل زمانه وأبنيته، ط: 3، بيروت، مؤسّسة الرّسالة.

18-الشّافعي علي الصّبان، 17هـ/ 1997م، **حاشيّة الصّبان على شرح الأشموني لألفيّة ابن مالك** ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة.

19-الشّوكاني محمّد، 1414، **فتح القدير**، تح: أحمد عبد السّلام، ط1، دمشق، دار ابن كثير دار الكلّ م الطّيّب.

20-الصّافي خديجة محمّد، 2008، **نسخ الوظائف النّحويّة في الجملة العربيّة**، ط1، القاهرة، دار السّلام.

21-عبد الله بن أحمد بن أحمد محمّد، **النّحو العربي بين القديم والحديث – مقارنة وتحليل**– دار اليازوري العلميّة للنّشر والتّوزيع.

22-عبد الوافي وافي علي، **النّحو الوافي**، ط3، القاهرة، دار المعارف.

23-العكبري أبو البقاء، **التّبيان في إعراب القرآن**، تح: على عي محمّد البجاوي، عيسى البابي الحربي وشركاه.

24-عضيمة محمّد عبد الخالق، "**دراسات لأسلوب القرآن**"، القاهرة، دار الحديث؛

25-عماد الدّين إسماعيل، **الكناش في فني النّحو والصّرف**، تح: رياض بن حسن الخوام، بيروت المكتبة العصريّة للطّباعة والنّشر.

26-الفرّاء أبو زكرياء، **معانيّ القرآن**، تح: أحمد يوسف النّجاتي وآخرون، ط1 القاهرة، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة.

27-سيد قطب، **في ظلاّل القرآن**، دار الشّروق.

28-مبارك فاطمة، 2015، **العجب في أدب الجاحظ**، تونس، الدّار التّونسيّة.

29-المبرد أبو العباس، 1409/ 1989، **ما اتفق لفظه واختلف معناه**، تح: أحمد محمّد سليمان، ط1 الرّياض، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسّلاميّة.

30-محمود نحلة، 2001، علم اللغة النّظاميّ (مدخل إلى النّظرية اللغويّة) عند هاليداي ط2، بيروت ملتقى الفكر.

31-النّسفي أبو البركات، 1419/ 1998، **مدارك التّنزيل وحقّائق التّأويل**، تح: يوسف علي بديوي، ط1 بيروت، دار الكلّ م الطّيّب.

32-الهاشمي أحمد، **جواهر البلاغة**، تدقيق: يوسف الصّميلي، بيروت، المكتبة العصريّة.

33-الواحدي أبو الحسن، 1415/.1994، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد** تح: عادل أحمد أبو الجود وآخرون ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة.

المجلات:

1-عفيفي أحمد مصطفى، 1992، حول الصّيغ ودلالاتها في اللغة العربيّة **صحيفة دار العلوم للّغة العربيّة وآدابها والدّراسات الإسلاميّة**، الإصدار الرّابع، مصر مج1/ ع1، محرم/ يوليه، 181، 182.

الفهرس

مقدمة..... 03
1- مفهوم البنية 04
2- مفهوم التّعجيب..... 05
3- بنية التّعجيب في القرآن الكريم 07
3-1- الصّيغ القياسيّة للتّعجيب..... 08
3-2- التّعجيب السّماعي..... 15

3-3- التّعجيب الوظيفي 15
3-3-1 التّعجيب بالخبر 16
3-3-2 التّعجيب بالإنّشاء 21
أ)- المدح والذّم.....21
ب)- الاستفهام 21
ج- دخول الاستفهام على جملة مقيّدة بحال 33
د- المتناقضات في سياق الاستفهام الإنكاري..... 35
هـ- الاستفهام الدّاخل على أفعال التّدبر والتّفكر 36
و- الاستفهام الدّاخل على الفعل (رأى) 38
ز- الاستفهام الدّاخل على الفعل (دلّ) وقد تعلّق به ما خفي عن المخاطب 40
ح- الاستفهام المسبوق بتنبيهٍ..... 41
ط- الاستفهام والعطف 42
ي- دخول الاستفهام على الشّرط المعلّ..... 44
ك- توالي الاستفهامات المجازيّة..... 47
خلاصة..... 52
المصادر والمراجع 55

منشورات المجلس

2020